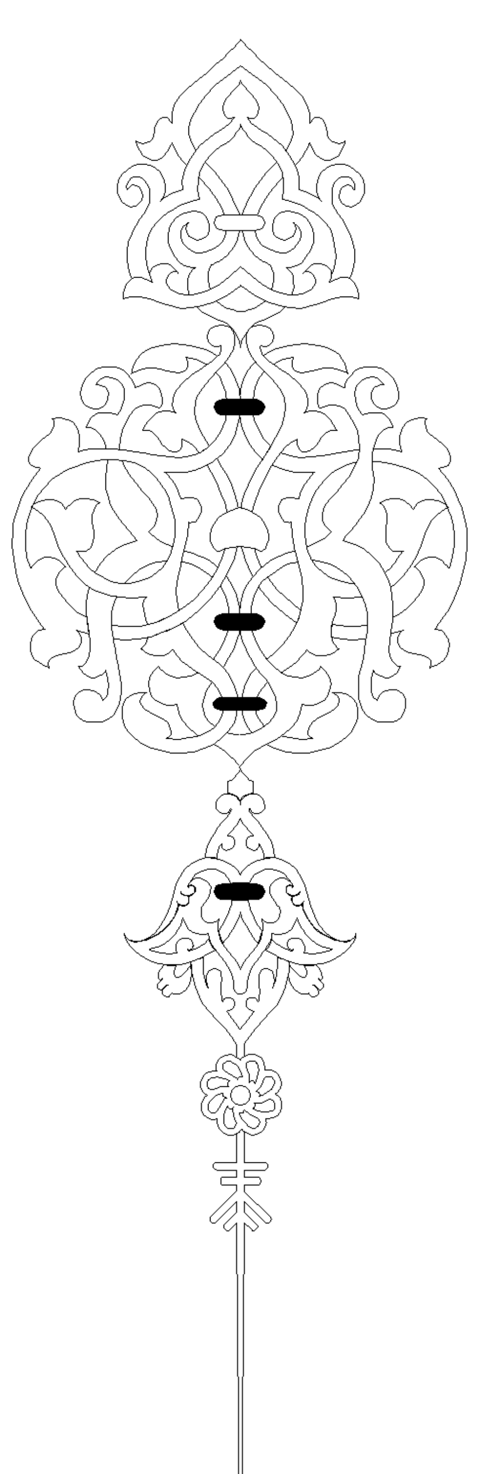


الإسلام في الغرب

أسس العلاقة ومديات التأثير



البياتي، رعد حميد توفيق، الإسلام في الغرب أسس العلاقة ومديات التأثير، تأليف: د. رعد حميد توفيق البياتي، مكتب شمس الأندلس للطباعة والنشر، ط١، بغداد، ٢٠١٨.

ص ٧٠

الإعداد الإلكتروني وتصميم الغلاف والطباعة

في مكتب شمس الأندلس للطباعة الرقمية والتصميم والنشر

بغداد/الأعظمية هـ: ٠٧٧٠٤٥٧٧٠٧١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٦٨٢ لسنة ٢٠١٨



الطبعة الأولى ٢٠١٨



الإسلام في الغرب

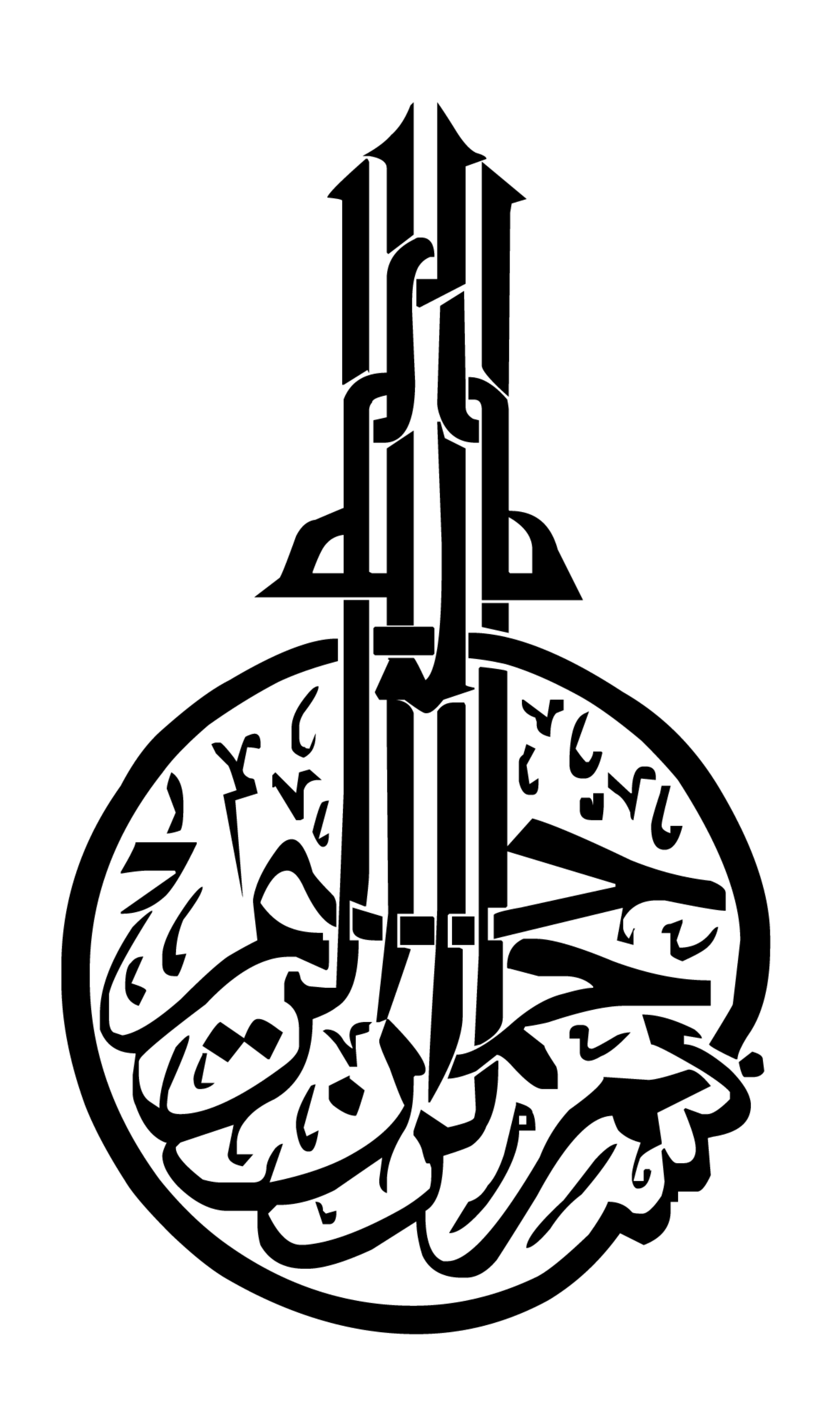
أسس العلاقة ومديات التأثير

الدكتور رعد حميد توفيق البياتي

مكتب شمس الأندلس

الطبعة الأولى

٢٠١٨


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...وبعد.

فمما لاشك فيه ان الذي يغوص في أعماق الشرائع السماوية، وكذلك تاريخ الفكر البشري الضارب بجذوره منذ بدء الخليقة، يرى أنها قد جعلت الإنسان هدفاً مباشراً لرسالاتها وموضوعاً محورياً لخطابها العام، وفي ذلك حَرَصَت تلك الكتب السماوية على إعلاء شأنه، وسموه، ورفعته، كأفضل من خطا على هذه البسيطة، وقد شاء الخالق جل وعلا ان يكون هذا الإنسان اجتماعياً بطبعه، لذا جاءت شريعة الإسلام في تعاملها مع الأقوام غير المسلمة حسب ما امر به سبحانه وتعالى وعلى ما نص عليه الرسول الكريم محمد ﷺ من أحكام أعيت من جاء بعدها بنظريات فكرية وإصلاحية واجتماعية.

بعد أن شهد العالم في مطلع القرن العشرين تغيرات وتحولات كبيرة في أساليب العلاقات بين الأديان، انعكست بدورها على حركة المجتمع السياسية والفكرية والاجتماعية، إذ برزت ملامحها، في تحولات أدت إلى حدوث انفجار معرفي متسارع الإيقاع وثورة تقنية متجددة بما أحدثته من وسائل وعلاقات جديدة بين الأديان والشعوب، وطرق في العمل غير مسبوقة لم تعرفها البشرية من قبل، جميعها أدت إلى حدوث تغيرات في الحياة الفكرية، وفي مظاهر العادات والقيم الاجتماعية التي تتمثل في صراع الأجيال وتزاوج الأفكار والثقافات.

إن موضوع الإسلام في الغرب من المواضيع التي أثيرت في العقود المتأخرة كردة فعل لما يمر به هؤلاء المسلمون من جوانب تستدعي النظر فيها منها إعداد المسلمين في العالم أو في الغرب أو العلاقة بين المسلمين والمحيط الذي يعيشون فيه والذي نسميه بالآخر أو غير المسلم أو فقه الواقع، إلى غيرها من المباحث التي تمس العلاقة بين الإسلام في الغرب؛ لذ ستكون محاور هذه المادة تقصي لأغلب ما يمر به المسلمون في الغرب والعالم بصورة اشمل، وحسب محطات الالتقاء الإسلامي الغربي.

سائلين المولى الموفقية والسداد

الفصل الأول

المسلمون في العالم (التاريخ والديمغرافية)

أولاً: الإسلام:

الإسلام ديانة إبراهيمية سماوية خاتمة، وهو ثاني الديانات في العالم من حيث عدد المعتنقين بعد المسيحية والمعنى العام لكلمة الإسلام هو الاستسلام لله، أي تسليم كامل من الإنسان لله في جميع شؤون الحياة.

يؤمن المسلمون أن الإسلام آخر الرسالات السماوية وأنه ناسخ لما قبله من الديانات من حيث الاعتقاد والتشريع والمنهج والنتيجة، كما يؤمن المسلمون بأن محمدًا ﷺ رسول مرسل من عند الله، وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ وأن الله أرسله إلى الثقلين الجن والإنس عامة، ومن أسس العقيدة الإسلامية الإيمان بوجود إله واحد لا شريك له هو الله، وكذلك الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إلى البشرية قبل محمد ﷺ، كالنبي إبراهيم ويوسف وموسى والمسيح عيسى بن مريم عليهم السلام وغيرهم كثير ممن ذكروا في القرآن أو لم يُذكروا، وأنهم جميعًا كما المسلمين، اتبعوا الحنيفية، ملة النبي إبراهيم، والإيمان بكتبهم ورسائلهم التي بعثهم الله كي ينشروها للناس، كالزبور والتوراة والإنجيل.

التعريف بلفظة الإسلام:

لغة: كلمة الإسلام يُبحث عنها في المعجم في "سلم"، وهي مصدر لفعل رباعي هو "أسلم." ويُعرَّف الإسلام لُغويًا بأنه الاستسلام، والمقصود الاستسلام لأمر الله ونهيه بلا اعتراض، وقيل هو الإذعان والانقياد وترك التمرّد والإباء والعناد

أما معناه الاصطلاحي، فهو الدين الذي جاء به "محمد بن عبد الله" ﷺ والذي يؤمن المسلمون بأنه الشريعة التي ختم الله بها الرسالات السماوية. وفي حديث عن "أبي هريرة" رضي الله عنه، أن النبي ﷺ عرّف الإسلام: بأن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج بيت الله.

المقصود بالشريعة الإسلامية:

في حين ان المقصود بالشريعة الإسلامية هي: مجموعة القوانين المفروضة بالقرآن والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح واجتهادات علماء الدين الإسلامي، والتي تحدد علاقة الإنسان بالله وبالناس وبالمجتمع والكون، وتحدد ما يجوز فعله وما لا يجوز، وأهم هذه الشرائع أركان الإسلام الخمس.

أقسام الأحكام الشرعية:

تُقسم الأحكام التي تشتمل عليها الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

- **الأحكام العقائدية:** وهي تشمل كل الأحكام التي تتعلق بذات الله وصفاته والإيمان به وهو ما يُعرف بالإلهيات، ومن هذه الأحكام أيضًا كل الأحكام التي تتعلق بالرسل وبالإيمان بهم وبالكتب التي أنزلت عليهم وما إلى ذلك وهو ما يُعرف بالنبوات، ومن هذه الأحكام أيضًا كل الأمور الغيبيّة وهي ما يُعرف بالسمعيات. وهذه الأحكام العقائدية يجمعها علم واحد يُسمى "علم التوحيد أو علم الكلام.
- **الأحكام التهذيبية:** وهي الأحكام التي تدعوا إلى التحلي بالفضيلة والتخلي عن الرذيلة، فهناك أحكام تتعلق ببيان الفضائل التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها كالصدق والأمانة والشجاعة والوفاء والصبر وما إلى ذلك، وهناك أحكام تتعلق بالرذائل التي يجب على الإنسان أن يتخلى ويبتعد عنها كالكذب والخيانة وخلف الوعد والغدر وما إلى ذلك، وهذه الأحكام التهذيبية يجمعها علم يُسمى "علم الأخلاق أو "علم التصوف.
- **الأحكام العملية:** وهي الأحكام التي تتعلق بعمل الإنسان أو بفعل الإنسان.

أقسام العلوم الإسلامية:

ان الناظر في طبيعة ونشأة العلوم الإسلامية المتعددة يجدها ترجع إلى أحد أمور ثلاثة جاء بها الإسلام، وهي:

١. الملّة.

٢. والشريعة.

٣. والمنهج.

التي يجمعها اصطلاح (دين) أو (إسلام).

وقد تعبد الله عز وجل عبادُه بهذه الأمور جميعاً، وبَيَّن أن الملة واحدة، والشرائع والمناهج متعددة، **فقال سبحانه مبيناً وحدَة الملة:** ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ (الأنعام: ١٦١-١٦٣).

كما قال الله تعالى مبيناً تعدُّدَ الشرائع والمناهج: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾ (المائدة: ٤٨).

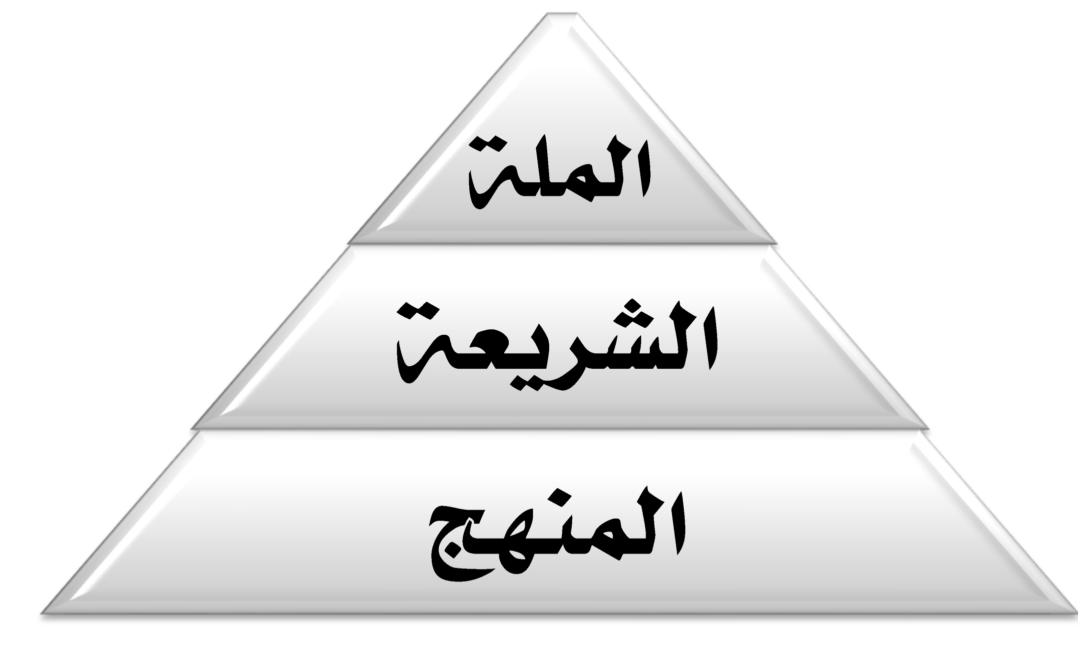
ويكفي هنا أن نعلم بأن دراسة **(الملة)** أصبحت من اختصاص أقسام العقيدة في الجامعات الإسلامية اليوم، كما أن دراسة **(الشريعة)** أصبحت من

اختصاص أقسام الكتاب والسنة، وأقسام الفقه والأصول، وأصبحت دراسة **(المنهج)** من اختصاص أقسام الدعوة.

إن هذه الدراسات جميعها تمثل دراسة الدين الواحد الذي يشمل كلاً من الملة والشريعة والمنهج.

لهذا، كان أي فَصْلٍ كامل بين هذه الدراسات، أو العناية بواحدة منها على حساب الأخرى، يُعدَّ فصلاً بين أجزاء مترابطة، لا يصح الدين ولا يَكمُل ولا يَسْلَمُ إلا بها جميعاً.

فالداعية إلى الله يدعو إلى كلٍ من الملة والشريعة والمنهج، والدارس للملة والشريعة لابد له من معرفة المنهج والطريق الصحيح لذلك، فكل اختصاص من هذه الاختصاصات مفتقر إلى غيره، وإذا كان ثَمَّة من فرق، فإنما هو في نوعية التخصص من جهة، ومدى عناية أصحاب كل تخصص بتعميق وتأصيل بعض المواد العلمية المتعلقة بتخصصهم أكثر من بعض المواد الأخرى من جهة أخرى.



ثانيا: التاريخ الإسلامي

جرت العادة على تقسيم تاريخ الإسلام إلى عهود الخلافة المتنوعة التي مرّت على الدول الإسلامية والأسر الحاكمة التي حكمتها، وبطبيعة الحال يبدأ تاريخ الإسلام منذ عهد النبي محمد ﷺ، ويُطلق على تلك المرحلة تسمية **"العصر النبوي"** أو **"صدر الإسلام"**، وفيها بدأت الدعوة الإسلامية بين العرب وانتشر الدين الجديد شيئًا فشيئًا حتى اعتنقه أغلب سكان شبه الجزيرة العربية وبعد وفاة نبينا محمد ﷺ تولّى شئون المسلمين اربعاً من كبار الصحابة هم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب ﭫ، وعُرفوا بالخلفاء الراشدين، وفي عهدهم بدأ التوسع الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية. وبعد عهد الخلفاء الراشدين جاء العهد الأموي أو العصر الأموي الذي استفرد فيه بنو أميّة بالخلافة وفيه استمر التوسع الإسلامي، وفي أواخر هذا العصر ثار بنو العبّاس بن عبد المطلب عمّ النبي محمد ﷺ على الحكم وخلعوا الأمويين واستفردوا بالحكم فعُرفت هذه الفترة باسم **"العصر العبّاسي"**،وفيها بلغت الحضارة الإسلامية أوج تقدمها وازدهارها وتقدمت فيها العلوم والآداب تقدمًا لم تعرفه العرب من قبل فعُرف هذا العصر أيضًا **"بالعصر الذهبي للإسلام"**، وفي أواخره دبّ الضعف إلى جسم الدولة وتراجعت هيبة الخلافة لأسباب مختلفة، فما كان إلا أن استفرد عدد من الحكام بأقاليم مختلفة ودعوا لنفسهم مثلا الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين والفاطميين والسلجوقيين؛ فكانت الحروب الصليبية، حيث شنّت الممالك الأوروبية الغربيّة حملة على بلاد الشام للاستيلاء على مدينة القدس من أيدي المسلمين، فتمكنت من ذلك وبقي الصليبيون في الأراضي المقدسة مئة وأربعًا وتسعين سنة.

وخلال هذه الفترة قامت بضع دول إسلامية استمرت بقتال الصليبيين واسترجعت منهم بعض المدن والقلاع أحيانًا وفقدتها لصالحهم في أوقات أخرى مثل دولة الأتابكة والأيوبيين، قبل أن تقوم دولة المماليك في مصر وتهزم الصليبيين وتردهم على أعقابهم وتسترجع كامل بلاد الشام. وخلال هذه الفترة كان المغول بقيادة هولاكو خان قد غزوا عاصمة الخلافة بغداد وأمعنوا فيها تدميرًا وخرابًا فنقل الخلفاء العباسيون مقرهم إلى مدينة القاهرة إلا أن خلافتهم كانت قد أصبحت خلافة صورية ذلك أن سلاطين المماليك كانوا قد أصبحوا سادة الموقف بحق. وبعد ذلك لم يعد للمسلمين دولة قويّة توحدهم كما كان الحال في بداية العهد العبّاسي، إلى أن ظهرت الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان الأول، فقد قام خلفاؤه بالاستيلاء على عدد من الدول التي لم يسبق للمسلمين فتحها، كدول البلقان، ونشر الإسلام فيها، وفي عهد سابع سلاطين هذه الدولة، محمد الثاني، افتتحت القسطنطينية بعد محاولات عديدة فاشلة خلال الأزمنة السابقة، وفي سنة **١٥١٩**فتح حفيد السلطان سالف الذكر، سليم الأول، بلاد الشام ومصر وقضى على السلطنة المملوكية وجعل آخر خلفاء بني العبّاس يتنازل له عن الخلافة، فأصبح بنو عثمان بذلك خلفاء المسلمين طيلة **٤٠٨** سنوات، وعُرف هذا العصر "بالعصر العثماني"، وفيه برزت بضع دول إسلامية في إيران وما ورائها مثل الدولة التيمورية والدولة الصفوية والدولة الهوتكيانية. وبعد انهيار الدولة العثمانية تفرّق شمل المسلمين وقامت عدّة دول مستقلة يجمعها رابط اللغة أو الثقافة أو الأخوّة دون أن تكون موحدة فعلاً.

ثالثا: ديمغرافية العالم الإسلامي

أظهرت دراسة شاملة من سنة ٢٠٠٩ لمئتين واثنين وثلاثين دولة ومنطقة، أن ٢٣٪ من إجمالي سكان العالم، أي حوالي ١.٦ مليار نسمة، يعتنقون الدين الإسلامي، كذلك تبين أن حوالي ٥٠ دولة في العالم يُشكل المسلمون أغلبية سكانها، وأن العرب يشكلون ٢٠٪ من مسلمي العالم.

يعيش أغلب المسلمين في قارتيّ أفريقيا وآسيا، وحوالي ٦٢٪ منهم يسكن القارة الأخيرة، حيث تأوي إندونيسيا وباكستان والهند وبنغلاديش العدد الأكبر. وفي الشرق الأوسط، تُعتبر تركيا وإيران أكبر دولتين غير عربيتين يُشكل المسلمون أغلب سكانها؛ أما في أفريقيا فإن مصر ونيجيريا هي أكبر الدول الإسلامية. ويعيش ٧٣٪ من المسلمين في دول ذات أغلبية مسلمة مقابل ٢٧٪ كأقليات دينية.

الأقلية المسلمة في الهند هي أكبر أقلية مسلمة في العالم حيث تبلغ نسبتهم ١٤٪ من مجمل السكان. يقول معظم الخبراء أن عدد المسلمين في جمهورية الصين الشعبية يتراوح (بين ١.٥٪ و ٢٪)من إجمالي عدد السكان

رابعا: الوجود الإسلامي في الغرب

الوجود الإسلامي في الغرب على نوعين:

الأول: مستوطن قديم كما هو في البلقان نتيجة للفتح الإسلامي لهذه المناطق.

الثاني: هجرة جديدة ابتدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر وازدادت بعد الحرب العالمية الثانية، وتسارعت ابتداءً من الستينيات من القرن العشرين، وحاليا تتزايد بسبب ضغوطات الحكومات وعدم اهتمامها بالمواطن.

دوافع الهجرة:

١. الهجرات الأولى غالبها اقتصادي بحت، وكان الهدف منها جمع ثروة ثم العودة للبلد الأم، لكن من عاد كانوا قلة والأغلب استوطنوا، سواء عن طريق إحضار أزواجهم أو – بعض الأحيان – الزواج من أهل البلد، وهذا أثر بشكل كبير في الأجيال الجديدة ومدى قربها أو بعدها عن الإسلام، وهناك تفاوت ملموس من بلد عربي لآخر، من حيث جنسية المهاجرين وأعدادهم ودورهم الاجتماعي والاقتصادي.

٢. الهجرات في المراحل المتأخرة (ابتداءً من الثمانينيات) غلب عليها الجانب الإنساني والسياسي (لجوء) وأحياناً تتم لأسباب علمية، حيث فضل بعض حملة الشهادات العليا من الدول العربية الاستقرار في تلك البلدان لأسباب علمية بحتة.

٣. ويُلاحظ أن الهجرة إلى العالم اللاتيني الجرماني، فرنسا وألمانيا خصوصاً، يغلب عليها الطابع الاقتصادي، وأنّ الهجرة إلى العالم الأنجلوساكسوني، بريطانيا والولايات المتحدة وكندا، يغلب عليها الطابع العلمي، أما الهجرة السياسية فهي منتشرة في كل البلاد الغربية، بقدر تأزّم وضع حقوق الإنسان في البلاد العربية – الإسلامية.

خامسا: أعداد ومنظمات المسلمين في الغرب:

أغلب المسلمين يتوزعون في أوربا وأمريكا الشمالية، ولا توجد إحصاءات دقيقة، خصوصاً أن الكثير من البلدان لا يذكر الدين في الإحصاءات الرسمية.

وتشير التقديرات إلى أن عدد المسلمين في أوربا يقارب الخمسين مليوناً، نصفهم في أوربا الغربية، وأكثرهم يتركز في فرنسا، حيث يقترب عددهم من الستة مليون، نصف هذا العدد – تقريباً – مولودون على الأرض الغربية، مما يؤهلهم لحمل جنسيتها، في أمريكا هناك تفاوت كبير في عدد المسلمين لكن الأرجح أنه يقترب من سبعة ملايين.

في المراحل الأولى للهجرة تركز اهتمام المسلمين المهاجرين على توفير احتياجاتهم الأساسية، ولأجل ذلك ظهرت بينهم لجان لمتابعة شؤونهم وقضاياهم الخاصة بهم، وبمرور الوقت أخذت أعداد المسلمين بالازدياد، فتحولت هذه اللجان إلى منظمات وتشكيلات أكبر حجماً، إلاّ أنها لم تحمل في بداية قيامها صيغة إسلامية صرفة، بل أخذت تمارس نشاطها باعتبارها منظمات عرقية، ولكنها كانت على علاقة وصلة بالمساجد، وتقوم بنشاطات تعليمية يسيرة.

بعض المنظمات الإسلامية المعروفة في البلاد الأصلية أسست مكاتب وفروعاً في بلاد المهجر، وقد استطاعت من خلال ما تتمتع به من تنظيم وما تمتلكه من تجارب عملية سابقة، أن تكسب إلى جانبها في فترة زمنية قصيرة، المجموعات والمنظمات الابتدائية في المهجر.

عراقيل وعقبات المسلمين في المهجر:

ومن **العراقيل والعقبات** التي واجهت المسلمين في تأسيس المنظمات الإسلامية، المتطلبات القانونية التي تضعها الدول الغربية أمامهم، إذ أن معظم الدول الأوروبية تؤكد أن تمر عملية تأسيس الجمعيات والمراكز التعليمة والثقافية، وحتى الدينية، بمراحل وخطوات قانونية قبل أن يكون بالإمكان إضفاء الصبغة الشرعية عليها وتسجيلها لدى الحكومة بشكل رسمي، لذا كان عليها أن تقدم شرحاً حول تشكيلاتها الإدارية وقائمة المساعدات المالية الشهرية، وإيجاد مقر مناسب لمكاتبها وفروعها، واعتماد أسلوب الاقتراع المباشر لاختيار الأعضاء وفي إطار القوانين والضوابط الحكومية.

المصادر المالية لهذه المنظمات تعتمد على تبرعات الأعضاء بشكل جزئي وعلى الدعم الخارجي بشكل أساسي، ذلك أن معظم أبناء الجالية لا يزالون في وضع اقتصادي غير مساعد وليس بوسعهم أن يسدوا احتياجات هذه المراكز.

سادسا: المنظمات الإسلامية:

ولقد ظهرت في أوروبا منذ قيام الاتحاد الأوروبيّ في أوائل التسعينات، مؤسسات إسلاميّة ذات طابع أوروبيّ، تهتمّ بأحوال المسلمين في القارّة الأوروبّية كلها، مثل "منظمة رابطة الجاليات المسلمة في أوروبا" التي تأسّست في فرنسا، و"مجلس الإفتاء الأوروبيّ" الذي يتّخذ من مدينة كولن الألمانية مقراً له، و "الفيدراليّة العامّة لمسلمي فرنسا"، كما اتّجه بعض المثقّفين المسلمين في أوروبا إلى إنشاء وسائل إعلام المختلفة التي تُخاطب المسلمين في أوروبا كافّة مثل مجلّة "الأوروبّية" وقناة "المستقلّة" التلفزيونّية، اللتين تستهدفان بالدّرجة الأولى المسلمين المقيمين في أوروبا.

المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث/أنموذج للمنظمات الإسلامية في أوروبا

هي هيئة إسلامية متخصصة ومستقلة، تتكون من مجموعة من العلماء المسلمين من عدة أماكن من العالم. تم تأسيسها يومي **٢٩** و**٣٠** مارس**١٩٩٧** وذلك بمبادرة من اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا. يقع مقرها في دبلن في جمهورية إيرلندا. من أهم القرارات التي اتخذها المجلس هي الاعتماد على الحساب الفلكي للدخول في الأشهر القمرية وخاصة شهر رمضان وذلك في أوروبا خاصة وبقية العالم عامة وذلك بهدف توحيد المسلمين ولم شملهم وذلك في ٢٠٠٩.

في هذه المبادرة تم إقرار مسودة النظام الأساسي لهذا المجلس.

حدد المجلس أهدافه كما يلي:

١. إيجاد التقارب بين علماء الساحة الأوروبية، والعمل على توحيد الآراء الفقهية فيما بينهم، حول القضايا الفقهية المهمة.

٢. إصدار فتاوى جماعية تسد حاجة المسلمين في أوروبا وتحل مشاكلهم، وتنظم تفاعلهم مع المجتمعات الأوروبية، في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

٣. إصدار البحوث والدراسات الشرعية، التي تعالج الأمور المستجدة على الساحة الأوروبية بما يحقق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

٤. ترشيد المسلمين في أوروبا عامة وشباب الصحوة خاصة، وذلك عن طريق نشر المفاهيم الإسلامية الأصلية والفتاوى الشرعية القويمة.

وسائل تحقيق أهداف المجلس:

يعتمد المجلس لتحقيق أهدافه على عدة وسائل وهي:

١. تشكيل لجان متخصصة من بين أعضاء المجلس ذات مهمة مؤقتة أو دائمة ويعهد إليها القيام بالأعمال التي تساعد على تحقيق أغراض المجلس.

٢. الاعتماد على المراجع الفقهية الموثوق بها، وخصوصا تلك التي تستند إلى الأدلة الصحيحة وحسب المذاهب الفقهية المشهورة.

٣. الاستفادة من الفتاوى والبحوث الصادرة عن المجامع الفقهية والمؤسسات العلمية الأخرى.

٤. بذل المساعي الحثيثة لدى الجهات الرسمية في الدول الأوروبية للاعتراف بالمجلس رسميا، والرجوع إليه لمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية.

٥. إقامة دورات شرعية لتأهيل العلماء والدعاة.

٦. عقد ندوات لدراسة بعض الموضوعات الفقهية.

٧. إصدار نشرات وفتاوى دورية وغير دورية وترجمة الفتاوى والبحوث والدراسات إلى اللغات الأوروبية.

٨. إصدار مجلة باسم المجلس تنشر فيها مختارات من الفتاوى والبحوث والدراسات التي يناقشها المجلس أو التي تحقق أهدافه.

٩. تصدر الفتاوى والقرارات باسم المجلس في الدورات العادية أو الطارئة بإجماع الحاضرين إن أمكن، أو بأغلبيتهم المطلقة، ويحق للمخالف أو المتوقف من الأعضاء إثبات مخالفته، حسب الأصول المعمول بها في المجامع الفقهية.

ينص النظام الأساسي على أنه لا يحق لرئيس المجلس ولا لعضو من أعضائه إصدار الفتاوى باسم المجلس ما لم يكن موافقا عليها من قبل المجلس نفسه، ولكل منهم أن يفتي بصفته الشخصية، من غير أن يذيل فتواه بصفة عضويته في المجلس، أو أن يكتبها على أوراق المجلس الرسمية.

سابعا: أهمية معرفة أعداد المسلمين في العالم

ما زالت الدراسات الإحصائية عن الأقليات المسلمة في العالم بحاجة إلى مزيد من الجهد وتضافر الرؤى، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة وحتى نخرج بتقديرات أقرب إلى الواقع نسترشد بها في تتبع أحوال هذه الأقليات، ونعتمد عليها كمؤشر ذي دلالة بالغة لدراسة تطور أعداد المسلمين إليها.

ولعل من أفضل الوسائل التي يمكن أن نعول عليها في هذا المجال ولا سيما طلاب الجامعات العراقية، ما يلي:

١. توثيق الصلات بالأقليات المسلمة.
٢. الاستعانة بالمراكز الإسلامية والجمعيات والاتحادات الإسلامية المختلفة وأن نبسط لها يد العون والتأييد.
٣. عدم التغافل عما تتعرض له الأقليات المسلمة في أوربا وآسيا من تدبير لحرب المسلمين والإسلام وبوسائل متنوعة.
٤. إيلاء موضوع الأقليات ما يستحقه من الدراسات العلمية، واتخاذ كافة السبل لتوثيق الصلات بهذه الأقليات ودعمها حتى يقوى كيانها وتقف في وجه التيارات التي تتعرض لها.

وهذه أمور لا تنالها الأماني أو تدرك بالوعود المسوفة وإنما لا بد أن نستنفد الوسائل المعنوية والمادية وأن نسلك في سبيلها كل الدروب المعبدة والوعرة.

إن معرفة عدد الأقليات المسلمة في أقطار العالم المختلفة هو أمر بالغ الأهمية، لأنها مؤشر ذو دلالة في مجال تطور أعداد المسلمين وزيادتهم، سواء

أكانت هذه الزيادة وليدة النمو السكاني، أم نتيجة دخولهم إلى الإسلام، والدخول إلى الإسلام مصدر مهم ينبغي تتبعه ودراسة كافة الوسائل التي يمكن أن تسهم في تنميته، ولاشك أن هذا الموضوع ليس سهل القياد، وإنما تحول دونه صعوبات، فاليهود في العالم لا يتجاوزون الثلاثين مليونًا، حتى في الحسابات المبالغ فيها، ومع ذلك هم يحكمون أو يتحكمون بالعالم، بكل ملياراته وأعداده الضخمة، وليس في ذلك مبالغة، ولا الانطلاق من مركب نقص، لأنه حقيقة ماثلة أمام الجميع، سواء في ذلك من قَبِلَها أو رفضها، ومَن تجاهلها أو جهلها.

فالقضية وما فيها كما يقولون، تحكمها عدة أمور:

١. القدرة على استيعاب سنن التدافع الحضاري.
٢. القدرة على التفكير الاستراتيجي والاستشرافي.
٣. إمكانية الاستنبات والاستمرار في جميع الظروف التي تواجه المسلمين.
٤. حسن التقدير والتسخير للمواقع المتاحة.
٥. التحقق بالتقوى بمعناها الأعم.
٦. انبعاث الفاعلية الإيمانية والدعوية والتدين الروحي.
٧. اكتشاف المواقع والمنابر المؤثرة.
٨. توفر عنصري الإخلاص والصواب معًا، ليجيء العمل حسنًا، كما فهم الفضيل بن عياض رحمه الله قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (هود: ٧) بأن العمل لا يبلغ مرتبة الحسن ما لم يتوفر له الإخلاص في النية، والصواب، أو ما يمكن أن نطلق عليه الإرادة والقوة، الحماس والاختصاص، أو بمعنى آخر العمل للوصول إلى بناء الإنسان العدل، والتخلص من الإنسان الكَلّ.

ثامنا: أهمية الأقليات المسلمة في الغرب

إن الكلام عن قضية الأقلية والأكثرية، أو عن فقه الأقلية والأكثرية، يحتاج إلى الكثير من الدقة، فكم من أكثرية لا قيمة لها ولا نفوذ ولا قرار، وكم من أقلية تمتلك إدارة الأمور ومواطن التشريع السياسي والاقتصادي، فالقضية قضية واقع تستطيع الأقليات المسلمة تشكيله، أو حالة حضارية أو ثقافية، يمكن أن تلحق بالأكثرية أو بالأقلية، تحتاج إلى فقه ونظر واجتهاد، وليست قضية محصورة بفقه الأقلية بالشكل المطلق، والأمر الذي نرى أنه من المفيد لفت النظر إليه في هذا المجال، أن الوجود الإسلامي العالمي هو من طبيعة هذا الدين، الذي ابتعث رسوله رحمة للعالمين، ومن مقتضيات رسالته، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (سبأ: ٢٨)، لذلك فالأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين، تعد من الأمة المسلمة، بما يمكن أن نطلق عليه الجغرافيا الثقافية، وليس من الدولة المسلمة، أو من دار الإسلام، حال وجود الدولة المسلمة فيها يمكن أن نسميه الجغرافيا السياسية.

لذا فالبشر في نظر الشريعة الإسلامية، ينقسمون بحسب الديانة الإسلامية، إلى طائفتين كبيرتين:

أ. طائفة المسلمين.

ب. طائفة الكافرين. (والكافر هو من لم يؤمن بوحدانية الله سبحانه وتعالى، أو بنبوة محمد ﷺ، أو بشريعته، أو بثلاثتها)، وبعبارة موجزة: هو من لم يعتنق دين الله الحق وبمعنى الكفر هنا هو التارك للإسلام.

تاسعا: المساجد في العالم

في قلب أوروبا بدأت أعداد المساجد فيها تنافس أعداد الكنائس في باريس ولندن ومدريد وروما ونيويورك، وصوتُ الأذان الذي يرفع كل يوم في تلك البلاد خمس مرات، خيرُ شاهد على أن الإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة وأتباعاً جدداً، فقد أصبح للأذان من يلبيه في كل أنحاء الأرض، من طوكيو حتى نيويورك، وعند نيويورك ومساجدها نتوقف، ففي أوقات الأذان الخمس ينطلق الأذان في نيويورك وحدها في مائة مسجد، و بلغ عدد المساجد في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقرب من (٢٠٠٠) مسجد والحمد لله، وترتفع في بريطانيا مئذنة نحو (١٠٠٠) مسجد، وتعلو سماء فرنسا وحدها مئذنة (١٥٥٤) مسجداً ولا تتسع للمصلين، وأما ألمانيا فتُقدّر المساجد وأماكن الصلاة فيها بـ(٢٢٠٠) مسجد ومصلى، وأما بلجيكا فيُوجد فيها نحو (٣٠٠) مسجد ومصلى، ووصل عدد المساجد والمصلّيات في هولندا إلى ما يزيد عن (٤٠٠) مسجد، كما ترتفع في إيطاليا وحدها مئذنة (١٣٠) مسجدًا، أبرزها مسجد روما الكبير، وأما النمسا فيبلغ عدد المساجد فيها حوالي (٧٦) مسجداً، هذه فقط بعض الدول في أوروبا الغربية، عدا عن أوروبا الشرقية، والإقبال على الإسلام يزداد يوماً بعد يوم، ومن هذه المساجد يتحرك الإسلام، وينطلق في أوروبا، لذلك ليس غريباً أن تشدّد أوروبا وأمريكا في أمر المساجد ومراقبة أهلها، والتضييق في إعطاء الرخص لبنائها، ومن المفارقات العجيبة أن كثيراً من هذه المساجد كانت كنائس فاشتراها المسلمون وحولوها إلى مساجد..

عاشرا: المسلمون في العالم

انطلق الحديث عن البُعد الجغرافي في القرن التاسع عشر عندما كتب نورمان دانييل كتابًا أعطاه هذا العنوان: الإسلام والغرب، ولقد كُتِبَ الكثير عن الشرق والغرب من كتب ومقالات ومحاضرات، ولا يزال الموضوع يزداد حيويةً بزيادة الحوار بين الشرق والغرب، أو بين المسلمين والغرب على وجه التحديد، مهما أخذ الحوار من أشكال، كان من آخرها ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية (نيويورك وواشنطون) في الثلث الأخير من السنة الميلادية ٢٠٠١م (٢٠٠١/٩/١١م) الموافق **١٤٢٢/٦/٢٣**هـ، وسعيًا إلى استبعاد البعد الجغرافي في هذا النقاش نجد أنه يعيش الآن في الغرب ما يزيد على سبعة وخمسين مليون وست مئة وخمسين ألف (**٥٧.٦٥٠.٠٠٠**) مسلم ومسلمة، لهم منشآتهم التي يؤدون فيها عباداتهم وأوجه نشاطهم ومنها آلاف المساجد التي تقدَّر بالولايات المتحدة الأمريكية نفسها بأكثر من ستة آلاف (**٦٠٠٠**) مسجد، وفي فرنسا حوالي ثلاثة آلاف وخمس مائة (**٣.٥٠٠**) مسجد، منها مائة وعشرة (**١١٠**) مساجد في باريس الكبرى، هذا عدا عن المدارس الرسمية والخاصة، والمقابر والمجازر والمحلات التجارية والنوادي والمكتبات.

واعترفت بعض الدول الغربية بالدين الإسلامي، وكونِه في دول أخرى يكوِّن الدين الثاني في الدولة، كما في بلجيكا ودخل المسلمون المعترك السياسي في الحكومات المحلية والمجالس البلدية، كما في فرنسا مما يوحي ذلك كله أن هناك تأثيرًا للمسلمين في الغرب يفوق حادثة عارضة، مهما كانت آثارها السلبية التي

خلَّفتها، وكانت قد حُسِبت على المسلمين بعامتهم. وهذا يدل على مزيد من التنامي للإسلام في الغرب.

أن بعض الباحثين يقدر عدد الدول الإسلامية بسبع وخمسين وحدة إسلامية، وبعضهم الآخر يقدر عدد الدول الإسلامية بخمسين دولة (اثنتين وعشرين دولة آسيوية، وسبع وعشرين دولة أفريقية، ودولة أوروبية)، وفي دراسة أجراها فريق من الباحثين بمجلة Time قدر عدد الدول الإسلامية بسبع وثلاثين دولة على النحو التالي: (عشرون دولة إسلامية في آسيا، ست عشرة دولة في أفريقيا، دولة واحدة في أوروبا هي ألبانيا)، إذا كان هذا هو الاختلاف في تقدير عدد الأقطار الإسلامية، فليس من المستغرب إذا أن يكون هناك اختلاف كبير في تقدير أعداد الأقليات المسلمة في العالم.

إن اختلاف الباحثين في اعتبارهم الدولة إسلامية أو غير إسلامية ينعكس أثره ويتردد صداه في تقدير عدد الأقليات المسلمة، لأنه في حالة تقدير الباحث أن دولة ما إسلامية يجعله ملزما بأن يستبعد أعداد المسلمين فيها من الأقليات الإسلامية، أما إذا اعتبر أن الدولة غير إسلامية فإنه سيضيف سكانها المسلمين إلى أعداد الأقليات المسلمة.

أ – الأقليات المسلمة في آسيا:

يقدر عدد المسلمين في آسيا بأكثر من **٧٥٢** مليون نسمة، منهم **٤٧٠** مليونا يعيشون في الأقطار الإسلامية أي بنسبة **٦٣**٪ تقريبا من إجمالي عدد المسلمين في

آسيا بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون في أقطار غير إسلامية بأكثر من **٢٨٢**مليونا أي بنسبة **٧٣**٪ من مجموع مسلمي آسيا.

وتقدر أعداد المسلمين في أهم أقطار آسيا غير الإسلامية.

ومما تجب الإشارة إليه أن مسلمي آسيا يلقون اضطهاد ويتعرضون للمذابح في بعض المناطق كما هي الحال في الفلبين، وتايلند، وبورما، والهند، التي ذكرت مجلة إرشاد الهندية في يوليو سنة **١٩٨٤**م أن الأقلية المسلمة في الهند قد تعرضت لهجوم الأغلبية الهندوكية مرات عديدة منذ استقلالها حيث آلاف المسلمين في مدن جبل بور وأحمد آباد، ومراد آباد، وبومباي، وأخيراً ما حدث في آسام وبورما دمرت قراهم وذبح الرجال والنساء والأطفال.

ب -الأقليات المسلمة في أفريقيا:

يقدر عدد المسلمين في أفريقيا بأكثر من **٢٩٣**مليونا، منهم **٢٢٣**مليون مسلم يعيشون في الأقطار الإسلامية أي بنسبة **٧٦**٪ تقريبا، ويعيش أكثر من **٧٠** مليونا **٢٤**٪من مجموع المسلمين في أفريقيا) في أقطار غير إسلامية، ويعد تقدير أعداد الأقليات الإسلامية في أقطار أفريقيا من أهم المشكلات التي تختلف فيها وجهات النظر بين الباحثين.

ج- الأقليات المسلمة في أوروبا:

لا توجد في أوربا إلا دولة إسلامية واحدة هي ألبانيا وتقع جنوب شرقي أوربا، ويصل عدد المسلمين فيها إلى مليوني نسمة، أما بالنسبة للأقليات المسلمة

في أوربا، ويعيش في يوغسلافيا وحدها أكثر من خمسة ملايين مسلم، ويتعرض المسلمون في بلغاريا لضغوط تعسفية وصلت إلى حد إجبار المسلمين بالقوة على تغيير أسمائهم أو إضافة لاحقة بلغارية إلى أسمائهم فيصبح اسم محمد (محمدوف) وأحمد (أحمدوف)، وتحرم السلطة البلغارية إطلاق الأسماء الإسلامية أو غير البلغارية على المواليد الجدد، وتحرم كذلك أداء الفرائض الدينية الجماعية كصلاة الجمعة والعيد.

وجدير بالذكر أن عدد المسلمين في بلغاريا يصل إلى أكثر من **٢٥** مليون مسلم.

وهناك منظمة عالمية للتنصير مقرها أوربا جندت الأموال الطائلة والكفاءات العالية لتنصير المسلمين، وقد قال روي جورج رئيس المنظمة: (ينبغي محاربة الإسلام في نفوس المسلمين المقيمين في أوربا، وقال: إن الملايين المقيمين في أوربا هدية بعثها الله لنا).

د – الأقليات المسلمة في أستراليا:

يزيد عدد المسلمين في أستراليا على **٣٠٠** ألف مسلم، وقد عرف الإسلام طريقه لأستراليا في فترة استكشافها حينما استخدم الإنجليز الإبل وسيلة للتنقل في مناطق أستراليا الصحراوية، واستعانوا ببعض المسلمين من أفغانستان وباكستان لقيادة تلك الإبل، وقد أنشأ هؤلاء المسلمون المساجد، لذا فليس غريبا أن يقول أحد المكتشفين الإنجليز بأن صوت الأذان دوي في أرجاء القارة الأسترالية قبل أن تدق أجراس الكنائس، ويوجد في أستراليا خمس وخمسون

جمعية إسلامية، وأكثر من ٣٥مسجداً ومركزاً إسلامياً، ومعظم مسلمي أستراليا من أصل لبناني وأستراليا من القارات التي يمكن أن تستوعب أعداداً كبيرة من المسلمين، لذا يجب العمل على دعم الأقليات الإسلامية وتشجيع هجرة المسلمين إليها.

هـ- الأقليات المسلمة في الأمريكيتين:

يقدر عدد المسلمين في الأمريكيتين بما يقرب من أربعة ملايين مسلم. وتضم الجالية الإسلامية في أمريكا الشمالية أكثر من ثلاثة ملايين من المسلمين منهم أكثر من مليونين من أصل أفريقي ويقدر عدد المسلمين في أمريكا الجنوبية والوسطى بنحو ٤٠٠ ألف مسلم.

وهناك منظمات إسلامية عديدة في الولايات المتحدة الأمريكية لها نشاط ملموس مثل: اتحاد الطلبة المسلمين ولهذا الاتحاد فروع في أكثر الولايات، وقد أسهم هذا الاتحاد في إنشاء اتحادات أخرى مثل اتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين. واتحاد العلماء والمهندسين المسلمين واتحاد الأطباء المسلمين. وإلى جانب هذه الاتحادات هناك المراكز الإسلامية العديدة والجمعيات، ولعل أكبر المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة في الولايات المتحدة، مشكلة التحزب أو التشرذم بسبب الخلافات الإقليمية التي حملوها معهم من أوطانهم، بالإضافة إلى التبعثر وعدم التركز في مناطق محددة بسبب اتساع الولايات المتحدة.

المسلمون في أمريكا:

رغم الإشارات المتعددة لحضور المسلمين منذ اكتشاف أمريكا وما أعقبه من جلب للعبيد (ومنهم بعض المسلمين والذين ذابوا بعد ذلك في المحيط النصراني) إلا أن الهجرة الحقيقة بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، خصوصاً من بلاد الشام، ثم تباطأت بعد ذلك، لكن بعد الحرب العالمية الثانية بدأ وصول بعض المسلمين من أوربا الشرقية والقليل من القارة الهندية.

في الستينات حدثت فورة في الهجرة لأسباب اقتصادية، لكن رافقها الجانب التعليمي لدى بعضهم، وكان المهاجرون من بلدان عربية وإسلامية مختلفة، وفي الثمانينات اندفعت موجات جديدة من العراق وإيران لأسباب إنسانية وسياسية.

وفي التسعينات هاجر بعض المسلمين من ماليزيا واندونيسيا وكذلك من الهند وباكستان وأغلبهم من التقنيين والعلماء.

أما أصول المسلمين، فحسب دراسة صدرت عن مركز هارد فورد للأبحاث الدينية في أمريكا فهم كالتالي:

عرب **٢٥**٪، القارة الهندية **٣٣**٪، أمريكيون أفارقة **٣٠**٪، أوربيون مسلمون **٢**٪، جنوب شرق آسيا **٢**٪، أخرى **٥**٪.

أما المسلمون السود فقصتهم تستدعي الإشارة، فعندما أسلم "أليجا محمد" لم يحمل من الإسلام إلا أسمه وبعض الرموز اليسيرة، وكان يرى الإسلام دين

السود، وهو النبي المرسل لهم. كانت النقلة لـ"أمة الإسلام" عندما اهتدى "مالكوم إكس" إلى الإسلام وبدأ بالطرح الصحيح للدين، مما تسبب في مقتله بعد فترة يسيرة، كان خليفة "أليجا" ابنه قد اكتشف بعد موت والده خطأه وصواب "مالكوم إكس" مما دعاه إلى إحداث تغيير في "أمة الإسلام" نحو النهج الصحيح، لكنه لم يصادف نجاحاً كبيراً فانقسم الأتباع وبقي بعض منهم على خرافاته وضلاله، لكن الحركة - بوجه عام - بقيت ذات حضور في وسط السود، وإن غلب عليها التقوقع عن بقية المسلمين والانعزال عنهم.

في مدينة نيويورك، كان الإسلام حاضراً وظاهراً لمدة تزيد عن قرن كامل، وكانت مقراً لمجموعة متنوعة كبيرة من الجماعات الإثنية، وكان من بين سكانها المسلمين بحارة سفن تجارية رئيسة، شيكاغو، بولاية إلينيوي، كانت مكان سكن مُبكر للمهاجرين المسلمين، ويدعي بعضهم أنه كان يقطنها عدد من المسلمين في أوائل القرن العشرين أكثر من عدد المسلمين في أي مدينة أميركية أخرى.

وتشير دراسة أمريكية إلى أن من بين الملايين السبعة المسلمين هناك **٣٦٪** معتدلون، **٢٧٪** ليبراليون، **٢١٪** محافظون، أكثر من ثلثهم ولدوا في الولايات المتحدة، وهم من بلدان متعددة تصل إلى **٨٠** بلداً.

ونظراً للخلفية الثقافية والعلمية للكثير من المهاجرين المسلمين إلى أمريكا (بخلاف أوربا) فإن البعد المؤسساتي في العمل وتنظيم شؤونهم بدأ منذ وقت مبكر وتطور مع الزمن، وهي من الكثير بحيث يصعب حصرها، فأغلبها جمعيات محلية صغيرة، لكن هناك بعض المؤسسات السياسية والإسلامية العامة مثل:

مجلس الشؤون العامة الإسلامية MPCA، المجلس الإسلامي الأمريكي AMC، مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR، التحالف الإسلامي الأمريكي AMA، التجمع الإسلامي IQNA.

تأسيس هذه المؤسسات جاء أيضاً إيذاناً ببدء مرحلة جديدة من مراحل وجود المسلمين في أمريكا، مرحلة تتخطى الاستجابة للحاجات الدينية والاجتماعية الأساسية، مثل المساجد والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والثقافية إلى بناء القوة السياسية والإعلامية للمسلمين الأمريكيين والتحرك الدؤوب لتنفيذ برنامج عمل مشترك وواضح يقوم على أربعة محاور رئيسة، هي:

١. مكافحة محاولات تشويه صورة الإسلام والمسلمين بالإعلام الغربي، واستبدال الصور السلبية بأخرى إيجابية.
٢. زيادة وعي المسلمين الأمريكيين بحقوقهم المدنية سيما فيما يتعلق بحقهم في ممارسة دينهم بمختلف المؤسسات العامة الأمريكية، والدفاع عن تلك الحقوق من خلال جهد منظم وعملي.
٣. تشجيع المسلمين الأمريكيين على المشاركة في الحياة السياسية الأمريكية واستخدام حقوقهم المكفولة دستورياً، خاصة التصويت وحرية الرأي والتعبير وحرية التنظيم السياسي والترشيح لتولي المناصب السياسية.
٤. العمل على التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية لتطوير الموقف الأمريكي من قضايا المسلمين المهمة وعلى رأسها قضية فلسطين وقضية كشمير وقضايا الاقليات المسلمة المظلومة في بلدان كيوغسلافيا السابقة وروسيا.

الفصل الثاني

صورة الإسلام في الغرب

أولا: صورة الإسلام في الغرب عبر العصور

لقد شكل الإسلام على مر القرون إطاراً روحياً وثقافياً وتنظيمياً يجمع بين الشعوب الإسلامية. واحتل الإعلام الإسلامي أهمية في مستوى حجم التحديات التي واجهت الشعوب الإسلامية في الداخل والخارج. وكانت أجهزة الإعلام الإسلامية ذاتها تعاني صعوبات عديدة، نتيجة لضعف إمكانيات بعضها وغياب الخبرات الفنية لديها، وقد أصبحت تبث قيماً غير سليمة، وأنماطاً من السلوك لا تستقيم في مجتمع اليوم ومع مقتضيات المعاصَرة.

ويجب الإقرار بأن المؤسسات التي كانت تضطلع بدور الإعلام والتثقيف الديني لم تكن دائماً بمنأى عن أشكال التوظيف، بل إنها ساهمت بمناهج مختلفة في تأجيج الصراعات بين المسلمين على مختلف فئاتهم ومذاهبهم، مبتعدة بذلك عن مبادئ الإسلام السمحة وقيمه الإنسانية النبيلة، ومتناقضة مع الفكر الإصلاحي المتحرر القائم على الوسطية مبدأً والعقلانية منهجاً والنهوض بالإنسان غايةً. فالإسلام الذي اعتمد الإبلاغ لإيصال الرسالة المحمدية، والذي توفق في صهر العديد من الثقافات والحضارات، كان يتطلب منذ زمن بعيد تبني خطة علمية للمزيد من النهوض بالإعلام المرئي والمسموع والمكتوب.

ويجب الإقرار من جهة أخرى أن الإعلام الدولي لم ينقل ولم يبلغ تطلعات المسلمين على وجهها الصحيح، مما أساء إلى صورتهم في الخارج.

ثانيا: صورة الإسلام لدى الغربيين

إن الصورة في علوم الإعلام تعني السمعة التي يحظى بها طرف ما لدى طرف آخر والانطباع الذي يحمله الإنسان عن شخص أو مجموعة أو الشعب. ومن الطبيعي أن تختلف الصورة المأمولة عن الصورة الحاصلة. والصورة المأمولة هي الصورة المثالية التي يتمنى صاحبها أن يحظى بها لدى الطرف المستهدف، وهي الصورة التي تتطابق عامة مع ميولاته وأهدافه. أما الصورة الحاصلة بالفعل، فهي الصورة التي يحملها عنه فعلاً ذلك الطرف، وغالباً ما تكون ذاتية، لا تحددها العوامل الموضوعية ولا تتطابق بالضرورة مع الحقيقة المطلقة، فالعاطفة والقيم والمشاعر الشخصية، وطريقة الحصول على المعلومات، كلها عوامل تتضافر لتؤثر في هذه الصورة. فإذا وظفنا التصور لتجسيم صورة الإسلام في الغرب، وجدنا تفاوتاً كبيراً بين الصورتين.

"يوماً بعد يوم، تتغيّر نظرة الأمريكيين إلى الإسلام والمسلمين لتصبح أكثر سلبية -هذا ما جاء في استطلاعٍ مهمٍّ نشره [مركز پيو للأبحاث] [عام **٢٠٠٣**م].

ربما كان التطوّر الأكثر إثارةً في الاستطلاع، هو ازدياد عدد الأمريكيين الذين يجدون بأن الإسلام -على الأرجح- دينٌ [يشجّع أتباعه على العنف] أكثر من الأديان الأخرى. ففي شهر مارس من سنة **٢٠٠٢** كان هناك خمسة وعشرون بالمئة من الذين استُطلِعت آراؤهم يؤيدون هذه النظرة. أما الآن، فقد ارتفعت هذه النسبة إلى **٤٤** بالمئة.

ثالثاً: الأسباب التاريخية لصورة المسلمين المشوهة

كانت صورة المسلمين في القرن الماضي دوماً مشوهة في أوروبا بتأثير المستعمرين والمحتلين الذين كانوا يسعون إلى إظهار المواطن المسلم بمظهر المتخلف والمتطرف، ويعملون على تعميق الخلاف بينه وبين العالم المتقدم وزعزعة ثقة الشعوب النامية بالمسلمين. وقد بينت السياسات الغربية تجاه البلاد الإسلامية حيث بقيت متأثرة إلى حد بعيد بالتحاليل التي يقوم بها الخبراء الغربيون من أنثروبولوجيين ومختصين في العلوم السياسية على وجه الخصوص، أن تحاليل هؤلاء لا تعكس حقيقة الأوضاع في المنطقة الإسلامية، بل هي في أغلب الحالات تقدم تصورات لا تخلو من الآراء المسبقة عن الواقع العربي الإسلامي. وهي تضخم بصفة خاصة العاملَ الديني، فترى الإسلام في كل ما يمت إليه بصلة ما بالفعل، وما لا علاقة له به ألبتة، وتتغاضى عن التحولات العميقة التي يشهدها الواقع الإسلامي بمختلف أبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، وعن الجهود التي تبذلها الفئات الواعية والمستنيرة في سبيل النهوض بالإنسان، ذكراً كان أو أنثى، وذلك بتثبيت قيم الحرية والعدل والمساواة والديمقراطية.

ومن أهم خطوات الغرب لتشويه صورة الإسلام ما يلي:

١. النظر للشرقي أو للمسلم على أنه الآخر المستقل تماما عن الأنا أو الذات الأوروبية.

٢. تنظيم علاقة الأوروبي مع الآخر من خلال سلسلة من الثنائيات الفكرية يضع كل منها الأخر الشرقي أو المسلم في مقابل الأنا الأوروبي على طرفي نقيض في مختلف جوانب الحياة، فعلى سبيل المثال تم النظر للشرقي على أنه متخلف وحشي في مقابل الغربي المتقدم المتحضر، كما نظر الغربي للشرقي على أنه جاهل فقير في مواجهة الغربي المتعلم الثري، كما رأى الغربي الشرقي على أنه داكن ضعيف في مقابل الغربي الأبيض القوي، كما وجد في كتب فرانسيس فوكاياما الأمريكي الجنسية الياباني الأصل في كتابه (نهاية الحضارة).

٣. وقفت المؤسسات الاستعمارية خلف التقسيم الثنائي السابق لدعمه سياسياً واقتصادياً وثقافياً على أرض الواقع من خلال مساعيها لربط الشرق بما في ذلك العالم الإسلامي بأوربا من خلال روابط مؤسساتية استعمارية تضمن بقاء الشرق الطرف الأضعف على طول الخط في علاقته بالإمبراطوريات الأوروبية، ولذا سعى الاستعمار لتكريس استغلاله واستنزافه الاقتصادي للشرق ولإضعاف اللغات والأديان والثقافات الشرقية الأصلية ولمحاربة ظهور الحركات السياسية والاجتماعية الوطنية في الشرق والعالم الإسلامي على مدار عقود الاستعمار.

٤. وقف الغرب موقفاً منزعجاً ومتشدداً وأحياناً انتقامياً تجاه الجماعات الشرقية أو المسلمة التي خرجت عن التقسيم الثنائي السابق وحاولت امتلاك أدوات القوة الغربية مثل: اللغة وقوة الاقتصاد وفهم السياسة والقانون وأساليب العمل الإعلامي للتقريب بين مواقف المجتمعات الشرقية المستضعفة والغرب المستعمر.

٥. النظرة السابقة لعبت دوراً مزدوجاً خطيراً في تشكيل صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب، الدور الأول هو تشويه هذه الصورة، والثاني هو تبرير الاستعمار الأوربي واستنزاف أوربا المنظم لثروات الشرق والعالم الإسلامي تحت عنوان تحريره ومساعدته على الرقي والتحضر.

رابعا: عوامل قام بها المسلمون أسهمت في التشويه:

١. تقصير بني الإسلام في عرض صورة الإسلام الواضحة النقية.

٢. عرض صورة لمسخ مشوه والتصريح بأنها صورة الإسلام، أو الإيهام بذلك، عمداً أو خطأ.

ولاشك أن هذين السببين يتداخلان مع ما سبق ذكره، ولاسيما الثاني فإن أثر الغرب في هذا ظاهر، بيد أن الغرب ليس هو كل شيء فيه، كما أن حقد الغربيين له من يدعمه من الأطراف العميلة المؤثرة وليست كل شيء فيه.

أما تقصير بني الإسلام في عرض صورة الإسلام الواضحة النقية **فيشمل أموراً منها**:

١. تقصيرهم في عرضه ابتداء.

٢. تقصيرهم في تنقية الصورة المشوهة بالشبه الغربية.

٣. تقصيرهم في بيان الأخطاء ومعالجتها، على المستوى الداخلي والخارجي، فعندما تزوّر ممارسات باسم الإسلام خطأ، ثم لا يوضح بجلاء أن الإسلام منها براء داخل الصف المسلم أو خارجه، فإما أن تبقى الصورة مشوهة عند

إغفال الاعتراف بالخطأ وتصحيحه في الذهن الغربي، وإما أن تتكرر الأخطاء عند إغفال توعية الصف المسلم وحواره وتعريفه بالخطأ الذي وقع فيه.

وأما عرض صورة لمسخ مشوه والتصريح بأنها صورة الإسلام، أو الإيهام بذلك، عمداً أو خطأ، **فذلك يشمل أمور أيضاً**:

١. منها الممارسات التي يعتقد بعض الجهلة أو المتحمسين أو المنهزمين أنها من الإسلام والإسلام منها براء.

٢. ومنها ما يزوره العلمانيون وأذنابهم من دعاة التنوير بإحراق الفضائل، الذين يزعمون جهلاً أو كذباً أن الإسلام لا يعارض ما يعرضون وأن معارضته تشدد أو تزمت.

٣. ومنهم ما يُعرض في وسائل الإعلام المسلمة، أو يعرض في واقعهم من تعاملات مشينة، أو ممارسات تخالف هدي الإسلام، بغير نكير في أحيان، وبنكير لايلتفت إليه في أحايين أخرى، فكل هذا مما يوهم الغربيين بأن تلك الصورة المشوهة هي الإسلام.

خامسا: العلاج المقترح لمحو الصورة المشوهة

١. بعلاج المظاهر والأسباب التي للمسلمين فيها يد، كتصحيح واقعهم، مثلاً وإنكار المناكر التي ليست من الإسلام في شيء.

٢. بمدافعة الباطل وأهله الناقمين على الإسلام ومجاهدتهم جهاداً كبيرا من أجل إيصال صورة الإسلام للناس بيضاء نقية كما جاءنا به سيدنا محمد ﷺ وهذا يتطلب خطاباً إعلامياً عصرياً نقدياً وموضوعياً يغزو الأسواق الغربية ويبتعد عن رتابة الخطاب الإعلامي الغربي والإسلامي الموجود اليوم.

٣. الحاجة إلى الالتجاء إلى الله، والاعتماد عليه، والدعاء لأهل الضلال من الكفار بمعرفة الحق واتباعه، وفي صحيح البخاري قال ابن مسعود: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، فكما أننا بحاجة إلى دعاء الله بأن يهلك الظالمين المستكبرين المعرضين من الكافرين المستهزئين، نحن أيضاً بحاجة إلى أن نسأله سبحانه أن يهدي ضالهم ويدل حائرهم ولاسيما أولئك النفر الذين لا يزالون ينافحون عن الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام.

الفصل الثالث

مديات علاقة الإسلام في الغرب

التأثير والتحديات

أولاً: أثر الحضارة الإسلامية على حركة الحياة الأوربية

لم تكن الحروب الصليبية ـ كما نعلم ـ أول احتكاك بين الإسلام والغرب، بل كان هذا الاحتكاك منذ السنين الأولى من تاريخ الإسلام، عن طريق الفتوحات الإسلامية عبر الشام وعبر الشمال الأفريقي، ثم الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط.

ما من شك في أن الحضارة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي على وجه الخصوص، قد أفادت من الحضارة اليونانية عبر جهود الترجمة التي قام بها العلماء العرب والمسلمون لكثير من المعارف التي كانت سائدة آنذاك عدا المعارف التي تتعلق بالعقائد الوثنية اليونانية، ثم كان الهضم والتمثل والإضافة والإبداع ذو الخصوصية الإسلامية الذي شارك فيه العلماء المسلمون من الأجناس المختلفة المكونة للحضارة الإسلامية.

وكان على أوربا أن تتلقى العلوم والمعارف على أيدي علماء الإسلام بعد أن كانت تغط في سباتها العميق في مرحلة ما سموه بالعصور الوسطى وكان ذلك عن طريق التماس والتفاعل العميق في كل من الأندلس وصقلية، وعبر الحروب الصليبية.

لقد أسس المسلمون في الأندلس حضارة عريقة شملت مظاهر الحياة كافة من علوم وصناعات وفنون ومظاهر سلوك، بحيث أصبحت الأندلس من الحواضر الإسلامية المرموقة، وكانت قبلة للزوار من طلبة العلم والعلماء على السواء، سواء من المشرق الإسلامي، أو الغرب الأوربي. وكان الاتصال بين المسلمين والأوربيين سهلا، وكان اللقاء والتلاقح قائمين حيث كان الإقبال شديداً على تعلم اللغة العربية وتعلم أنماط العلم والثقافة، وتقليد المسلمين في مظاهر حياتهم الحضارية.

وكانت الترجمة من العربية إلى اللاتينية واحداً من مظاهر هذا التفاعل، وكان اقتناء الكتب، وإنشاء الجامعات على غرار الجامعات العربية مظهراً آخر من مظاهر هذا التقليد والاقتباس.

هذا في مراحل السلم، أما في المرحلة التي استطاعت الإمارات الأوربية المجاورة للأندلس أن تتهيأ للهجوم على الحواضر الإسلامية الأندلسية، فكانت تستولي على مكتباتها وتجتهد في ترجمتها خاصة تلك التي تتوفر على علوم الهندسة والطب والفلك وغيرها.

أما اللقاء الإسلامي الأوربي عبر الحروب الصليبية، فقد كان عظيم الأثر في حركة الحياة العلمية والفكرية في أوربا. فقد عاد الأوربيون بعد هزيمتهم في المشرق الإسلامي، وهم أكثر معرفة وخبرة بطبيعة الحياة في العالم الإسلامي، فلم يعودوا يؤمنون بما كان يروجه القساوسة والرهبان عن هذه الحياة وعن طبيعة التفكير لدى المسلمين، بل عادوا وهم يحملون معلومات ناضجة، وتجارب غنية

عن الإنسان المسلم وإنجازاته العلمية، وعن الأرض وطبيعتها، بل وعن مواطن القوة والضعف في الديار الإسلامية عامة.

ويمكن القول بأن (الحروب الصليبية انتهت بانتصار المسلمين عسكرياً، إلا أن المسيحيين استطاعوا أن ينتصروا علمياً من خلال الذخائر العلمية التي حصلوا عليها في فترة حربهم مع المسلمين)..

لقد حدث في أوربا بعد الحروب الصليبية ثورات كبرى في مجال العلم، بل والدين.

١. مجال العلم كان ظهور المنهج العلمي التجريبي الذي نما وازدهر على أيدي المسلمين، بعد أن استنقذوه من أيدي تلاميذ أرسطو الذين رسخوا المنهج الاستنباطي لسنين طويلة.
٢. المستوى الديني كان ظهور توما الإكويني **١٢٥٥ . ١٢٧٤**م، الذي أصلح كثيراً من مظاهر التفكير اللاهوتي المسيحي بما تعلمه من مناهج المسلمين وطرق تفكيرهم في العلوم والعقائد، ثم تلاه مارتن لوثر الألماني بثورته الدينية العارمة التي اقتبست الكثير من طريقة المسلمين في علاقتهم بربهم وعلمائهم الروحانيين خاصة.

إن الأمر الذي يكاد يجمع عليه الباحثون عدا بعض المستشرقين والمفكرين الأوربيين المتعصبين هو أن أوروبا أفادت من علاقاتها بالإسلام وأهله في مواطن اللقاء كلها، وإن النهضة الأوربية لم تحدث في القرن السادس عشر كما هو شائع،

بل بدأت قبل هذا منذ القرن العاشر بفعل الشروع بحركة الترجمة والنقل عن العربية عبر الأندلس وصقلية، كما أشرنا.

ولقد كان التأثير الإسلامي شاملاً في العلم والفنون والآداب والعادات، ويحضرني هنا قول للروائي الفرنسي (استاندال) في كتابه (في الحب): ((لقد كنا برابرة... لقد اقتبسنا أنبل عاداتنا عن طريق الحروب الصليبية والغرب في إسبانيا)).

ثانيا: متطلبات الفقه الإسلامي في الغرب

المذاهب الفقهية منها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي، والمذاهب الفردية يُقصد بها المذاهب التي تكونت من آراء وأقوال مجتهد أو فقيه واحد، ولم يكن لتلك المذاهب أتباع وتلاميذ يقومون بتدوينها ونشرها، فلم تُنقل إلى العصور اللاحقة بشكل كامل.

أما المذاهب الفقهية الجماعية فيُقصد بها تلك المذاهب التي تكونت من آراء وأقوال الأئمة المجتهدين مضافًا إليها آراء تلاميذهم وأتباعهم، ثم أُطلق على هذه المذاهب أسماء هؤلاء الأئمة ونُسبت إليهم باعتبارهم المؤسسين لها، ولقد قام تلاميذ وأتباع هذه المذاهب الجماعية بنشرها وتدوينها مما ساعد على بقائها حتى الآن. ومن أشهر المذاهب الفقهية الباقية المذاهب الأربعة المعروفة وهي بحسب الترتيب التاريخي: المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الظاهري، وتُسمى هذه المذاهب بمذاهب أهل السنّة،

بالإضافة لمذاهب الشيعة كالمذهب الجعفري والمذهب الزيدي، وكذلك المذهب الأباضي.

ومن القضايا الأساسية لعلم الفقه في العالم الغربي، هي:

١. إحياء مفهوم الارتكاز الحضاري، والانتماء الثقافي لرسالة الإسلام والأمة الأم، وعلى الأخص بالنسبة للمسلمين المهاجرين، لسبب أو لآخر، إلى مجتمعات غير إسلامية، قد تكون مشبعة بأحقاد تاريخية وعداوات عنصرية ضد الإسلام والمسلمين.

٢. المساهمة بطرح رؤية واقعية لكيفيات التعامل معها، وإيصال الخير لها.

ولعل القضية التي تستدعي التأمل والنظر باستمرار -نظرًا لتبدل الظروف وتطور الأحوال- قضية الاجتهاد، التي تعني فيما تعني خلود هذا الدين، وقدرته على معالجة مشكلات الحياة المتجددة، ووضع الأوعية الشرعية لحركة الأمة، وإنتاج النماذج التي تحمل الرسالة، وتحول دون الفراغ الذي يعني تمدد (الآخر).

الاجتهاد:

الاجتهاد بمفهومه العام (هو محاولة لتنزيل النص الشرعي، مصدر الحكم في الكتاب والسنة على الواقع، وتقويم سلوك الناس ومعاملاتهم به.. ومحله دائمًا المكلف وفعله)، وهذا يتطلب أول ما يتطلب -بعد فقه النص- النظر إلى الواقع البشري وتقويمه، من خلال النظر للنص، وكيفيات تنزيله في ضوء هذا الواقع البشري.

وهذه الأحكام المستنبطة من النص لتقويم الواقع والحكم عليه، هي أحكام اجتهادية، قد تخطئ وقد تصيب، حسبها أنها اجتهادات بشرية يجري عليها الخطأ والصواب، لا قدسية لها، ومهما بلغت من الدقة والتحري لا ترقى إلى مستوى النص المقدس في الكتاب والسنة، ولا تتحول لتحل محل النص، فتصبح معيارًا للحكم، هي حكم مستنبط يعاير ويقوّم بالنص، ويستدل عليه بالنص.

صلاحية فقه الواقع: وفيه (إن دقة وتحري الحكم وصوابيته في عصر معين، له مشكلاته وقضاياه، أو في واقع معين أثناء تنزيله عليه، لا يعني بالضرورة صوابيته لكل واقع متغير، ذلك أن فقه المحل (الواقع) بكل مكوناته وتعقيداته واستطاعاته هو أحد أركان العملية الاجتهادية، إلى جانب فقه النص المراد تنزيله على هذا الواقع).

كما قام الفقهاء بتطوير فرع من الفقه الإسلامي، له علاقة بالعلاقات الخارجية، هو السّيَر، لتلبية متطلبات الظروف المستجدة والقضايا الطارئة. فهذا يعتبر أساس القانون الدولي الإسلامي.

كما أننا نرى أن العلاقات بين الدولة الإسلامية والدول غير الإسلامية قد لعبت دوراً هاماً في تطوير مفاهيم وآراء جديدة في الفقه الإسلامي.

فالواقع وقضاياه ومشاكله تطرح أسئلة وتطلب حلولاً، لا بد للفقه أن يبدي رأيه فيها، سواء كانت القضايا نابعة من داخل المجتمع الإسلامي أو بسبب علاقته واتصاله بالأمم الأخرى، وقد يكون من الصحيح القول بأن القانون الدولي الإسلامي أو السير، نشأ أولاً لتنظيم قضايا الحرب والقتال وشئون

الأسرى وعقد الهدنة أو غيرها، لكن هناك دوافع وأسباباً أخرى جعلت القانون الدولي الإسلامي يتوسع ليشمل أمراً غير الحرب مع الكفار.

فقد كانت التجارة وانتقال الأفراد والتجار إلى دار الحرب، والتعاون السياسي مع دار الكفر وغيرها أموراً تدفع الفقهاء إلى المزيد من البحث والاجتهاد لمواجهة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتغيرة وواقع المسلمين اليوم يحتم على الفقهاء تأليف فقه يتعامل مع الواقع المتجدد الذي يمر به المسلمون في العالم الغربي وان كانت بعض المؤلفات اتجهت هذا التوجه لكن يحتاج المزيد لهذا نوع من المؤلفات لان المسلمين في الغرب يعدون كما نرى نحن طلائع التبشير الإسلامي بالدين الإسلامي ولذا يجب إعدادهم إعداد جيد.

ثالثا: أشكال العلاقة بين الأديان

١. حوار الدعوة:

المقصود به في المفهوم الإسلامي: الحوار مع أتباع الأديان الأخرى لبيان صحة هذا الدين، وانه ناسخ لكل الأديان السابقة، وإيضاح صحة نبوة محمد ﷺ. ومحاسن الإسلام العظيمة، وبيان ما هم عليه من الباطل المنحرف. وهذا الحوار مطلوب شرعا. تدل عليه كل الآيات والأحاديث الدالة على فضيلة الدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الباطل.

وهو موجود تمارسه جمعيات ومراكز. وجهات متعددة، وأفراد كثيرون لا يسمى في الاصطلاح باسم الحوار بين الأديان، فهو داخل في عموم اللفظ العام دون مدلوله الاصطلاحي الخاص وشعاره المعروف.

أما الحوار التبشيري عند النصارى الذي تمارسه الكنيسة الكاثوليكية، ومجلس الكنائس العالمي وغيرها فهو اتخاذ الحوار وسيلة للتنصير، وذريعة لتشكيك المسلمين في دينهم ونبيهم، وطريقاً مخادعاً لأخذ الشهادة والإقرار والموافقة بصحة دينهم وانه دين معتبر حتى بعد دخول التحريف فيه..

٢. حوار التعايش:

المقصود بحوار التعايش هو: الحوار الذي "يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، وربما تكون أقليات دينيّة، ويُعنى بالقضايا المجتمعيّة كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجّرين، واللاجئين ونحو ذلك، ومن أمثلة هذا اللون من الحوار: (الحوار العربي الأوروبي)، و (حوار الشمال والجنوب)". وقد يسمي البعض هذا النوع (التسامح). وهذا التعريف هو لمعنى التعايش بالمفهوم العام الذي يؤخذ من دلالة الكلمة دون ارتباطات بالمفاهيم اللاحقة.

هذا المفهوم العام لا يزيد على حسن المعاملة، والعيش بصورة ملائمة بين كافة المجتمعات مع الاختلاف الديني والفكري والثقافي.

التعايش بهذا المعنى بين اتباع الأديان المختلفة لا يرفضه الإسلام، ويدل عليه معنى البر والإحسان والقسط الوارد في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾.

لكن هذه الكلمة (التعايش والتسامح) أخذت بعداً آخر غير المفهوم العام السابق وذلك عندما رفعه العالم الغربي كشعار مع العرب والمسلمين بعد حرب ٦ أكتوبر (١رمضان عام ١٩٧٣م) وما تلاها من المقاطعة العربية في ١٧ أكتوبر

بقرار من وزراء النفط العرب في الكويت الذي يقضي بفرض الحصار النفطي على أميركا وتخفيض مستوى الضخ حتى يتحقق الجلاء عن الأراضي العربية وتؤمن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.

فرفع الغرب هذا الشعار لتهدئة الوضع ووقف القتال وتخفيف حدة الضغوط العربية إلى حين ترتيب أوراقه وإعادة تنظيم أهدافه الاستراتيجية وقد تم ذلك وأصبح واضحاً للعيان أن حوار التعايش والتسامح ما هو إلا شعار لأهداف سياسية بحتة لا سيما بعد السيطرة الأمريكية على الخليج ومنافذ البلاد العربية والإسلامية بعد حرب العراق الأخيرة في التسعينات من القرن الماضي، وعندما وقعت أحداث ١١ سبتمبر وهاجت أمريكا ورفعت شعار (الحرب على الإرهاب) عاد العرب والمسلمين لرفع شعار التعايش والتسامح بنفس المفهوم الغربي السابق الذي رفع إبان حرب ٦ أكتوبر وتداعياتها.

لقد أصبحت فكرة (التعايش والتسامح) دعوة فكرية تحمل في طياتها مضامين فكرية وثقافية وحضارية واجتماعية. وقد تبنى هذه الفكرة ونظر لها من الطرف الإسلامي "المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة" (ايسسكو)

٣. حوار وحدة الأديان:

يعرف بانه: "الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينيّة، وصواب جميع العبادات، وأنها طرق إلى غاية واحدة". ومن أبرز المنظرين لها في الوقت الحاضر "روجيه جارودي" تحت غطاء "الإبراهيميَّة". فهو يدعو للوحدة من منطلق

إنساني فهو يسعى لوحدة أديان الإنسانية ولكنه يرى أن المرحلة الأولى تبدأ بوحدة أديان الملل السماوية الثلاث، تحت مسمًّى (الإبراهيمية).

الأديان صحيحة لأنها صادرة عن الإله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والأثر البالغ والكبير له هو من جهة مكانته وشهرته العالمية، فجارودي كان الرجل الثاني في الحزب الاشتراكي الفرنسي بعد الرئيس الفرنسي (جاك شيراك).

خصائصه:

وأبرز الخصائص الفكرية لهذا النوع من الحوار ما يلي:

١. ما ذكر ويذكر من خصائص لحوار التقارب.

٢. اعتقاد صحة عقائد الأديان الأخرى وعباداتها، وأنها طرق موصلة إلى الله.

٣. اعتبار الخصائص المميزة بين الأديان ظواهر وتقاليد تاريخيّة لشعب معين أو حقبة زمنية معينة أو اعتبارها أنواعاً مختلفة توصل إلى حقيقة واحدة ولا معنى من الاعتماد عليها.

٤. العمل على المساواة بين كتاب المسلمين وعباداتهم ومساجدهم مع ما يقابلها عند أصحاب الأديان الأخرى. ومن ذلك.

- الدعوة إلى طباعة المصحف الشريف والتوراة والإنجيل في كتاب واحد بين دفتين.
- بناء مجمع لأماكن العبادة يضم مسجداً وكنيسة وكنيساً.
- تبادل الزيارات بين عمار المساجد ومرتادي المعابد مما يزيل الجفوة ويولد المودة.

♦ إقامة الصلوات المشتركة في أماكن العبادة لمختلف الأديان سواء بابتداع صلاة يشترك فيها الجميع أو بأن يصلي كل واحد صلاة الآخر وغيرها من الشعائر التعبديّة.

٤. حوار توحيد الأديان:

توحيد الأديان يقصد به "دمج جملة من الأديان والملل في دين واحد مستمد منها جميعاً، بحيث ينخلع أتباع تلك الأديان منها وينخرطون في الدين الملفق الجديد". والفرق بين هذا النوع والنوع السابق (وحدة الأديان) هو أن:

النوع الأول: عبارة عن دين جديد مخلوط من عناصر الأديان مع الترك والخروج من الدين القديم والدخول في هذا الخليط الجديد.

أما النوع السابق: فلا زال كل واحد على دينه القديم لكن كل دين فهو صواب يوصل إلى المقصود مع إبداع إطار عام يبرر توجهات الأديان جميعاً. وأن الخلاف بينهما مثل الاختلاف بين الآراء الاجتهادية الصحيحة في الدين الواحد.

رابعا: مفاهيم مختلف فيها

عندما نتناول العلاقة بين الإسلام والغرب لا بد من تناول بعض المفاهيم التي اختلف كلا الفريقين في تفسيرها وبين ماهيتها كالحقوق والاستعمار والاغتراب والاستشراق الى غيرها من المصطلحات التي اختلف من استخدمها على الآخر؛ لذلك سنعرضها بشكل محايد وموضوعي ليتسنى للطلبة توسيع مداركهم في هذه المجالات وهذه المفاهيم هي:

١. الحقوق:

ومن مُحَدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب النظر إلى الحقوق والواجبات، والإسلام قد رسخ مفهوم الحقوق في توكيده على الضرورات الخمس: (النفس والعرض والمال والدين والنسل) وانبثقت من هذه الضرورات الخمس ضرورات فرعية تقوم عليها الضرورات الأصليَّة، وبالتالي فإن الإسلام نظر إلى الحرية على سبيل المثال من منطلق ربَّاني مُحَدِّد غير مطلق، وهو يؤمن بحرية الفكرِ وحرية الرأي وحرية السلوك وحرية التصرف في الممتلكات، كل ذلك في حدودٍ إنما قامت لتضمن عدم إساءة مفهوم الحرية بحيث لا تجرح شعور الآخرين أو تؤثر على المصلحة العامة.

ومن الحقوق والواجبات التي افترق فيها النظام الإسلامي عن الغرب حق الحياة لكل إنسان يتماشى في سلوكياته مع السمت العام، فإذا خالف هذا السمتُ العام المبني على مفهوم إسلامي للسمت فقد حقه في الحرية أو الحياة بحسب المخالفة التي تبدر عنه، فإما أن يُقتل أو يُحجز سجينًا أو يُنْفى من المجتمع المسلم

أو يُجلد أو تُقطع يده، والقتل يكون بالسيف أو الرجم، ولا يشنق الإنسان ولا يعذب بالكرسي الكهربائي ولا يْسمَّم، وتكون العقوبةً واضحةً يشهدها طائفة من المؤمنين وتُعلن على الملأ في وسائل إعلام العصر الذي تقام فيه الحدود. ولا ينظر الإسلام إلى الزنى على أنه حقٌّ لأي شخص ذكرًا كان أم أنثى، رضيَ أم لم يرضَ، ذلك أن الزنى مرضٌ اجتماعي له عواقبه التي تؤثر على بناء المجتمع بتفشي الأمراض واختلاط الأنساب، ولذا فليس في الإسلام صداقاتٌ بين الجنسين كالموجود في الغرب، وليس فيه خليلاتٌ معلناتٌ أو غير معلناتٍ. ولا يُعطي الإسلام الإنسانَ الحقَ في شرب الخمور وتعاطي المخدرات مهما كانت الدوافع.

وعلى أي حال فالإسلام واضح في مسألة حماية المجتمع من العبث، وذلك من خلال الحزم في إقامة الحدود الشرعية متى ما ثبتت التهمة على المدعى عليه بالوسائل الشرعية لثبوت التهمة، دون تدخل أي وسيلة من وسائل بشرية تقهر المدعى عليه على الاعتراف، ودون تدخل أي وسيلة من وسائل بشرية تبرىء المدعى عليه ولو أن التهمة قد لصقت به.

لذا فإن مفهوم الحرية الشخصية وحقوق الإنسان في الإسلام مختلفة عنها في الأنظمة الوضعية الأخرى، وهكذا يطول النقاش في هذا المجال ويحتاج إلى أولئك المتخصصين في القضاء والقانون لإبداء الفروقات بين النظامين (القانونان).

أما حقوق المرأة فالاختلاف فيها واضح وجلي، وكلا النظامين ينظر للمرأة نظرة مختلفة كذلك في المنطلق، ذلك أن النقاش حول هذا الموضوع يأخذ منحىً عاطفيًا، هجوميًا أو دفاعيًا، حتى أن أبناء المجتمع المسلم وبناته في مجملهم وليس كلهم، يقفون وقفات حائرة حول هذا الموضوع ومنهم من تبنى كثيرًا من المفهوم الغربي في النظرة إلى المرأة، ويدعون إليه إعلاميًا، ويطبقونه في حياتهم متهمين أصحاب النظرة الإسلامية بالتشدُّد والتزمُّت، بل والتطرف في الضغط على المرأة، وغصبها حقَّها في المشاركة في عمارة الأرض وبناء المجتمع.

ولذا ظهرت الكتابات العلمية والعاطفية التي ركَّزت على حقوق المرأة وواجباتها، وكثير من هذه الكتابات إنما تدافع عن وضع المرأة في الإسلام مقابل وضعها في الغرب خاصة.

٢. العرقية

نظرة الغرب إلى الآخر غير الغربي، مُحَدِّد أساسيٌّ من مُحَدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب بل إن الشخص الأوروبي ينظر إلى غير الأوروبي نظرة قائمة على الفوقية بِغَضِّ النظر عن الخلفية الثقافية لهذا الشخص فيستوي في ذلك الشرقي وغير الشرقي سواء أكان هذا الشرقي مسلمًا أم كان من ذوي الثقافات الأخرى كالهندوس والبوذيين والزرادشت والمجوس والوثنيين الآخرين ولذا لم يتحمَّل الغرب أن ينظر إلى الإسلام على أنه دين شامل، بل نظر إليه على أنه دين قادم من الشرق، ومن العرب على وجه الخصوص، ولذا يستخدم المصطلحان الإسلام والعرب تبادليًا، بل إن مصطلح العرب عند الغرب طاغٍ على مصطلح الإسلام.

ويندُر ذكر مصطلح الإسلام في مقابل مصطلح العرب إلا لدى المستشرقين الذين تمكَّنوا من التفريق بين المصطلحين. أما العامة من الغربيين فإن العرب عندهم تعني الإسلام والمسلمين، ولذا فإنه من الغريب عندهم أن يوجد من بين العرب نصارى أو يهود ويستغرب الغربي أن يتحوَّل الأوروبي إلى الإسلام، وكأنهم ينظرون إليه على أنه تحوَّل عرقًا من الجنس الأنجلوساكسوني أو الجنس الآري إلى الجنس العربي، ولم يتحوَّل من النصرانية أو اليهودية إلى الإسلام دينًا. والإصرار على تغليب العرب مصطلحًا على الإسلام ناتج فيما يظهر عن الرغبة في التوكيد على محليَّة الإسلام، وأنه مقصور على العرب الذين كانت لهم نظرة خاصة عند غيرهم مبنيَّة على ما كانوا عليه قبل الإسلام في مقابل الأمم الأوروبية المتحضرة من رومان ويونان (إغريق) وبيزنطيين، قبل النصرانية وبعدها. وهم يدركون بحماسهم العرقي أنهم يتنازلون هنا عن الحماس الديني من حيث التوزيعُ الجغرافي، ذلك أنهم برغم كونهم في الغالبية نصارى كاثوليك أو بروتستانت أو أرثودوكس يدركون أن النصرانية إنما جاءت من الشرق، ولا يزالون يقصدون "يحجُّون" بيت المقدس، وأعظم قُدَّاس عندهم عند الاحتفال بمولد عيسى ابن مريم عليهما السلام هو ذلك القُدَّاس الذي يقام في بيت لحم على اعتبار أن بيت لحم في فلسطين المحتلة هي المكان الذي وُلد فيه عيسى بن مريم عليهما السلام. وكذا الحال يقال عند اليهود، إذ إن جغرافية اليهودية انطلقت من الشرق موطن العرب الآن. ولدينا في هذه المواطن مواطنون عربٌ لا يزالون يحتفظون بديانتهم النصرانية الأرثوذوكسية غالبًا واليهودية. ويدركُ هؤلاء أهمية الفصل بين المصطلحين الإسلام والعرب، لأنهم عربٌ ولكنهم غير مسلمين، ويفتخرون بعروبتهم كما

يفتخرون بنصرانيتهم ويهوديتهم، وإن قدَّموا أحدهما على الآخر في التفضيل بل إن منهم من يفتخر بأن ثقافته إسلامية رغم أنه غير مسلم وذلك لِمَا لقيه وبني عقيدته من تعايش ودِّي بين المسلمين.

٣. الاثنية:

كلمة "الإثنية" مأخوذة من الكلمة اليونانية "إثنوس" بمعنى "قوم" أو "جماعة لها صفات مشتركة". وتُستخدَم كلمة "إثنية" للإشارة إلى الجماعة الإنسانية التي قد لا يربطها بالضرورة رباط عرْقي ولكنها جماعة تشعر بأن لها هوية مشتركة تستند إلى تراث تاريخي مشترك ومعجم حضاري واحد. وكلمة "حضارة" هنا تستخدم في أوسع دلالاتها، فهي تشير إلى كل فعل إنساني وكل ما هو ليس بطبيعة، مثل: الأزياء وطرق حلاقة الشعر، وطريقة تنظيم المجتمع، والرقص. ومن أهم العناصر الإثنية، اللغة والأدب. ويمكن أن يكون الدين عنصراً من بين هذه العناصر الإثنية فينظر المرء، دون أن يؤمن بالإله، إلى الشعائر الدينية بوصفها تعبيراً عن الهوية، تماماً مثل الرقص والطعام. ويستطيع المرء أن يشير إلى طعام إثني (بمعنى أنه يُعبِّر عن هويته) له مضمون رمزي يتجاوز وظيفته المادية.

٤.الاستعمار

قبل الدخول في مفهوم الاستعمار مُحَدِّدا من مُحَدِّدات العلاقة بين الشرق المسلمين هنا والغرب، لابد من احتمال هذا المصطلح لزمن تحدد خلاله العلاقة بين الاستشراق والاستعمار من جهة، والتنصير والاستعمار من جهة أخرى، مع الاعتراف بالتداخل بين هذه العوامل الثلاثة المُحَدِّدة للعلاقة على التفصيل القادم

عند الحديث عن الاستشراق، ثم التنصير، ثم العلاقة بين التنصير والاستشراق. وأثبت البحث العلمي أن هناك علاقة قوية بين كل من الاستشراق والاستعمار ذلك أن الاستعمار قد أفاد كثيرًا من الاستشراق، واستخدم بعضَ المستشرقين مساندين للمستعمرين في وجوه:

الوجه الأول: أن المستشرقين قد استُخدموا مستشارين في وزارات الحربية، ووزارات الاستعمار وكانت هناك وزارات للاستعمار ثم وزارات الخارجية. وكان بعض المستشرقين موظفين في هذه الوزارات في وظائف استشارية.

الوجه الثاني: أن بعض المستشرقين قد رافقوا المستعمرين في حملاتهم الاستعمارية، وأعانوهم على الوصول إلى المناطق التي عرفها المستشرقون قبل الوصول إليها، بل إن من المستشرقين من صاغ البيانات الاستعمارية في البلاد العربية المستعمرة وباللغة العربية، ومنهم من أذاع هذه البيانات الاستعمارية في الإذاعات الاستعمارية التي قامت حال وصول المستعمِر إلى الأرض المستعمَرة.

الوجه الثالث: أن بعض المستشرقين كانوا قد سبقوا المستعمرين إلى الأراضي التي احتلها المستعمرون، بل إن منهم من ولد في هذه الأراضي لاسيَّما في الشام العربي والشمال الأفريقي العربي وشبه الجزيرة الهندية قبل أن تتوزَّع إلى الهند والباكستان، ومن ثم إلى بنجلاديش من الباكستان، وسيَر بعض المستشرقين تؤكد على ذلك، إذ إن ولادة بعضهم كانت على الأراضي العربية أو الإسلامية.

الوجه الرابع: أن بعض المستشرقين عملوا وكأنهم قواعد معلومات يستهدى بهم المستعمرون، دون أن يكونوا بالضرورة عاملين متفرغين في تلك الوزارات.

الوجه الخامس: أن الاستشراق كان دافعًا قويًّا للاستعمار بما قدمه من معلومات سابقة، لم تكن مقصودة بالضرورة لغرض استعماري بعينه، ولكنها كانت معلومات جاهزة فيها دعوة غير صريحة لاستعمار تلك الديار لما ينتظر منها أو فيها من معادن وثروات طبيعية، وبما يمكن أن يستفاد من أهلها في بناء المجتمعات الغربية، لاسيَّما البنية الأساسية لتلك المجتمعات، باستخدام ما يسمَّى خطأ لغويًا بالعمالة الرخيصة، أي العمال الرخيصين التي ظهرت أخيرًا، بل ربما ذهبنا إلى أبعد من ذلك عندما نلتفت إلى أفريقيا في مسألة أخذ الرقيق (العبيد) منها يخدمون في البيوت والمزارع والحظائر وغيرها.

وهناك وجوه أخرى اتضحت فيها جهود بعض المستشرقين في مؤازرة الاستعمار الذي هجم على العالم الإسلامي حينًا من الدهر، على ما سيأتي بيانه في وقفة لاحقة بإذن الله تعالى.

٥. التنصير

من مُحَدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب التنصير الذي كان، ولا يزال، موجَّهًا إلى المسلمين وغير المسلمين بصور مختلفة تتقلَّب بحسب الحال وبحسب البيئة، بل وبحسب الزمان والمكان، فالحملة التنصيرية الموجَّهة إلى مجتمع مسلم تختلف عن الحملة إلى مجتمع غير مسلم بعيدٍ عن الإسلام في عقيدته وتختلف عن

الحملة التنصيرية الموجهة إلى مجتمع مسلم قوي في عقيدته. وبوضوح أكثر ومع عدم الادعاء التام بالبعد عن العقيدة وقوتها في نفوس المسلمين، نجد أن الحملات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين جنوب الصحراء الكبرى تختلف عن الحملات التنصيرية الموجهة إلى منطقة الخليج العربي

غاية التنصير:

سواء أكان الدافعُ الأوَّلُ للحملات الصليبية هو الدِّين، أم أن هناك دوافعَ أخرى اقتصادية وسياسية، إلا أنه يمكن أن يُقال: إن الحملات الصليبية كانت في ظاهرها على الأقل حملاتٍ تنصيريةً أخذت صورة الغزو المسلَّح واحتلال الأرض وإخراج المسلمين منها.

وحيث لم تنجح هذه الصورة عَمِد التنصير إلى الدراسة والتحليل للمجتمعات المسلمة فواجهها بما تحتاجه من تعليم وتدريب أو علاج أو هبات مالية على شكل مشروعات تنموية. هذا في الوقت الذي استعان به المنصِّرون بالمستشرقين في الدخول في عمق المعتقد الإسلامي وامتهان مهمة الاستشراق القديم في التشكيك في هذا الدِّين بجميع مقوماته ورموزه.

وسائل التنصير:

وحيث لم تنجح هذه الصورة أيضًا بالشكل الذي يوازي الجهود البشرية والمالية المبذولة، عَمِد التنصير إلى اتباع الصور الأخرى التي اتفق على تسميتها بالوسائل الخفيَّة للتنصير التي تظهر شيئًا غيرَ التنصير، فجاء التنصير مع العاملين

النصارى في المجتمعات المسلمة، سواء أكان هؤلاء العاملون مهنيين فنيين خبراء، أم كانوا عمالاً غير مؤهلين مهنيًا.

علاقة الاستعمار بالتنصير

قامت علاقة وطيدة بين الاستعمار والاستشراق قامت علاقة أيضًا بين الاستعمار والتنصير، حتى عَدَّ الباحثون كثيرًا من المنصرين على أنهم مستعمرون. ودعا التنصيرُ الاستعمارَ إلى البلاد العربية والإسلامية ليسهِّل له الحملات التنصيرية التي كانت تواجه رفضًا رسميًا من بعض حُكَّام البلاد العربية والإسلامية آنذاك، فكان من الأنسب للمنصرين أن ينضوي هؤلاء الحُكَّامُ تحت الحماية الغربية؛ ليفتحوا الأبواب لأرباب الحملات التنصيرية للتوغل في المجتمع المسلم باسم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أو باسم العِلْم أو الطب أو الإغاثة أو التدريب أو التنمية أو غيرها من الوسائل الخفية للتنصير كما يحدث اليوم في بعض البلدان العربية المحتل هذا من وجه.

الوجه الثاني استخدم المستعمرون المنصرين ممهدين لهم للولوج في الفكر العربي الإسلامي للناس البسطاء في عمومهم آنذاك، عندما أوهم المنصرون المسلمين أن الاستعمار إنما يقصد رفع مستوى المسلمين المعيشي، والارتقاء بهم إلى مستوى حضاري بعيد قطعًا عن الانتماء الديني للإسلام بل إن هذا الاستعمار كما يصوره المنصرون إنما جاء بسبب بَرَكة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ودعوته المستمرة للمنصرين أن ينقذوا الناس في المشرق ويخلصوهم من الظلام والضلال الذي هم فيه.

وجه ثالث ربما استُخدِم المنصرون من المستعمرين دون أن يدرك المنصرون هذا الاستخدام ومغزاه، ذلك أن مِن المنصرين مَن كان بعيدًا عن السياسة، ومنهم كذلك مَن أخذ التنصير بجدية لا تحمل خلفها أي مغزى آخر سوى زعمهم بأنهم إنما يلبُّون تعاليمَ النصرانية في نقل الناس من الضلالة إلى الهدى.

وكان هذا هو مبلغ علمهم لاسيَّما أن هذه الفئة لم تكن لتتعرف على الإسلام على أنه دين سماوي، وإنما تعرفت عليه بإيحاء من الاستشراق على أنه تعاليم محمَّدية جاء بها ذلك الرجل في مكة وألَّف كتابًا لقومه سماه القرآن جمع فيه من تعاليم اليهودية والنصرانية والفارسية والهندية والرومانية واليونانية!

ولذا نجد أن بعض فرسان هذه الفئة من المنصرين يتخلون عن التنصير عندما يتبين لهم خلاف ذلك ويعتنقون الإسلام ويصبحون دعاة له بين أبناء جلدتهم! وهذه الفئة التي أسلمت شكّلت تهديدًا واضحًا وقويًا لا للحملات التنصيرية فحسب، بل للحملات الاستعمارية كذلك، إلا أنهم إعلاميًا لم يظهروا على الساحتين التنصيرية والاستعمارية، وهذا أمر واضح ومعلوم بالضرورة والممارسة الإعلامية التي لا تُظهر إلا ما تريد هي إظهارَه.

٦. الاغتراب

ومن مُحَدِّدات العلاقة بين المسلمين والغرب وجود جاليات إسلامية مغتربة في المجتمعات الغربية، والمعلوم أن هجرات المسلمين للغرب قديمة جدًا إلى درجة أن الدكتورة إيفون حدّاد أستاذة التاريخ الإسلامي بجامعة مساشيوستس

بالولايات المتحدة الأمريكية ترجع وجود المسلمين في أمريكا إلى ما قبل اكتشافها على يدي كريستوفر كولومبس.

وهي تورد هذا الرأي في معرض حديثها عن الوجود الإسلامي في أمريكا. ومهما يكن من أمر فالوجود الإسلامي في أوربا وأمريكا قديم، بدأ بالبعثات الدبلوماسية وبالهجرات التي أرادت اكتشاف الآخر والدعوة إلى الإسلام أو سعت إلى تحسين وضعها الاقتصادي، أو هربت من ظروف سياسية لم تكن تسمح لها بالاستمرار في مواطنها.

وكوّنت هناك مجتمعات صغيرة جدًا حاولت من خلال هذا التجمُّع الحفاظ على هويتها الإسلامية، لا سيما عندما كبر الأولاد، بنين وبنات، فأقاموا منتديات سموها مساجد، وإن لم تكن بالضرورة مساجد بل هي مصليات يذكر فيها اسم الله وتقام فيها الصلاة والدروس الدينية واللغوية والمحاضرات واللقاءات والمناسبات الاجتماعية.

٧. الإرهاب

من مُحَدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب هذه الظاهرة العالمية التي تعارف الناس عليها واختاروا لها مصطلح الإرهاب المقابل السريع للمصطلح الأجنبي Terrorism الذي كان الأولى أن ينظر إليه على أنه أقربُ إلى العنف منه إلى الإرهاب، ويمكن الادعاء أن الذين تصدُّوا للمصطلح الأجنبي وأعطوه المقابل العربي لم يكونوا دقيقين في الترجمة، لا سيما أن إشاعة هذا المصطلح العربي قامت

على أكتاف الإعلام الذي روَّج لهذا المصطلح دون النظر إلى الدقَّة في النقل عن المقابل الأجنبي.

وهذا الاعتراض نابعٌ من أن المفهومَ الإسلامي للإرهاب يختلف تمامًا في المؤدى عن المفهوم الشائع الآن، ذلك أن المسلمين مطالَبون بإعداد ما استطاعوا من قوة وعتاد ليرهبوا فيه عدوَّ الله وعدوَّهم: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال: ٦). والمعلوم لدى علماء الأمة المعتبرين أنه ليس المقصود هنا أن هذا الدين يدعو إلى الإرهاب بهذا المفهوم المتداول إعلاميًا ذلك أن الإسلام لا يقرُّ هذا الإرهاب بحال من الأحوال، وقد فهم المسلمون بشكل خاطئ لفظة الإرهابَ على أنه استخدام العنف في التدمير والهدم والترويع والتعرُّض للأبرياء دون التفريق بين المستهدَف وغير المستهدَف، بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ والشجر والبِيَع والكنائس والمنشآت المدنية والمنازل.

ويكفي لإثبات أصالة هذا المنهج العودة إلى وصايا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ فيما سنَّه لقادة الجيوش في الغزوات التي انطلقت من المدينة المنوَّرة وما يسنُّه وإخوته من الخلفاء الراشدين ﷺ هو من سنة المصطفى ﷺ: "... فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ"، وكذا وصية خليفة خليفة رسول الله ﷺ عمرَ بنِ الخطاب ﷺ إلى الفاتحين من القيادات العسكرية الإسلامية، فلا إرهاب في ذلك بالمفهوم الجديد

المتداول حاليًا للإرهاب، فلا عنف ولا ترويع ولا هدم، ولا تعذيب ولا اغتصاب، ولا اجتياح، ولا إهانة للمعابد ومؤسسات المجتمع المدني كافةً. هذا في حالة المواجهة الحربية التي تكون في أوج الرغبة في النصر واختصار الطريق إليه، ولكن ليس على حساب كرامة الإنسان والحفاظ على الضرورات الخمس التي أمر الله بحفظها له في كل الأحوال، النفس والمال والدين والنسل والعقل. وهي التي كما يقول الشاطبي: "لا بدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة. وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"، أما في حالة السلْم فالوضع أدقُّ وأوضحُ منه في حالة الحرب، فليس هناك ما يبرر الترويع والعنف في أي حال ومنذ أن وقعت أحداث الحادي عشر من شهر أيلول/سبتمبر من سنة ٢٠٠١م (٢٦/٦/١٤٢٢هـ) والطروحات تترى حول موضوع لم يتفق عليه بعد من حيث المفهوم وإن اتفق عليه ـ تقريبًا ـ من حيث اللفظ لمصطلح الإرهاب، مع أن بعض الكتَّاب المسلمين لا يزالون مترددين في قبول المصطلح، كما مرَّ بيانه في الوقفة السابقة ذلك لأنه مصطلح أخف وطأةً من المفهوم الذي يحمله فهو اسم لم يوافق مسماه ولفظ لم يطابق معناه، كما أنه ورد في القرآن الكريم المنزّل من خالق عظيم، مما يعني أن له معنىً ومفهومًا غير المفهوم الذي يطلق المصطلح عليه، فإرعاب الناس وقتل الأبرياء وترويع الآمنين، كل هذا أكثر من مجرد إرهاب.

وكان الأولى أن نبحث عن المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي الذي لن يكون بحال الإرهاب، بل ربما العنف أو أي مصطلح عربي ذي دلالة

تخريبية ترويعية عنيفة. وربما اصطلحنا على ما نص عليه القرآن الكريم من الإعداد للقوة على أنه للترهيب خروجًا من إشكالية المصطلح مع أنه حين ينقل إلى لغات أخرى يخشى ألاّ يلتفت إلى ذلك السعي إلى التفريق بين المفهوم الشرعي والمفهوم الإعلامي.

ولقد اقترن التخريب لدى الغرب بالمسلمين، لاسيَّما في الوقت الراهن. وأضحت أي عملية تخريبية مقرونةً بالعرب المسلمين، بِغَضِّ النظر عن الوجهة الجغرافية التي حدث بها التخريب وقام بها العنف.

ولأن العالم أصبح اليوم عالة على الإعلام الغربي في ترسيخ المفهومات، فإن الإعلام الغربي استطاع أن يُبعد النظر والتركيز والأضواء عن التخريب الصادر عن الأمم الأخرى، لاسيَّما الأمم المنحدرة عن الأصول الأوروبية، كما يحصل في الأمريكيتين، وكما حصل من اليهود في فلسطين المحتلة.

وليس العربُ وبالتالي المسلمون تخريبيين، ولا دينهم ولا ثقافتهم المستمدة من الدين ولا آدابهم تدعو إلى الترويع والإرهاب كما هو المفهوم الغربي للإرهاب، وليسوا كذلك متعطشين إلى الدماء، وليسوا همجيين متوحشين، وكل هذه وغيرها اتهامات ليست جديدة على الإسلام ولا على المسلمين، بل إنها جزء من تلك الحملة التي يهمها ألا يكون هناك تقارب بين الشرق(المسلمين) والغرب، رغبة في حماية الغربيين من الإسلام، ورغبة في الحدِّ من انتشار الإسلام في الغرب وفي غير الغرب.

وعليه فإنه في هذا المُحَدِّد من مُحَدِّدات العلاقة بين الشرق والغرب يظهر أن المسؤوليةَ مشتركةٌ بين الطرفين دون تغليب طرف على الآخر، ذلك أنه عندما وفِّق مَن قَبلَنا في تقديم الإسلام كانت النتيجة قبولَه من الغير والإقبال عليه.

وممن وفِّق في تقديم الإسلام تقديمًا مناسبًا أولئك التجار المسلمون من المتصوفة الذين لم يذهبوا إلى بلاد إندونيسيا وغيرها بقصد الدعوة، ولكنهم كانوا قدوة استطاعوا بها نشر الإسلام.

وهذا يضاعف من مسؤولية المسلمين من الدعاة وغيرهم وعلى مختلف الصُّعُد في حمل الإسلام إلى الغير بصورته التي ينبغي أن يُحمل عليها، عندها يمكن ضمان تقبُّل غير المسلمين له وتخليصه من تلك الشبهات التي أثيرت حوله وحول معتنقيه، ومنها شُبَه التخريب والترويع والهدم، أي شُبهة الإرهاب بالمفهوم "الإعلامي" للإرهاب، وهذه مسؤولية عظيمة.

خامسا: صراع الأديان أو الحضارات

الصراع مأخوذ من صرع والصرع الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان صارعه فصرعه يصرعه صرعا والجمع صرعى والمصارعة والصراع معالجتهما أيهما يصرع صاحبه وفي الحديث ((مثل المؤمن كالخامة من الزرع تصرعها الريح مرة وتعدلها أخرى)) أي تميلها وترميها من جانب إلى جانب والمصرع موضع ومصدر ورجل صروع الأقران أي كثير الصرع لهم، وقيل: الصراع بالكسر صرع، المصارعة: اجتهاد الشخص أن يلقي من يصارعه أرضا، وورد في القران الكريم مرة واحدة، قال تعالى (فترى القوم فيها صرعى)، واكتسب المصطلح مفهوما سياسيا واسع الانتشار واتخذ طابع النظرية في القرن التاسع عشر حين ورد في البيان الشيوعي لماركس الذي جاء فيه(ان تاريخ المجتمع كله حتى اليوم هو تاريخ صراع الطبقات) وهذا المصطلح هو نفسه الذي نراه اليوم عند المفكرين المروجين للصراع أو الصدام بين الحضارات والثقافات كالفكرة التي أطلقها المستشرق اليهودي برنارد لويس، وقام بتأصيلها والترويج لها عالم السياسة الأمريكي صمويل هنتنجتون ابتداء من عام **١٩٩٣**م، وأصبحت جاهزة لتسويغ وتبرير المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي، ذلك أن هنتنجتون بعد أن ميز بين سبع حضارات في العالم (الغربية، الأمريكية اللاتينية الأرثوذوكسية، الإسلامية، الكونفوشيوسية، الهندوسية، اليابانية، ورشح الأفريقية كحضارة ثامنة محتملة)- فإنه دعا إلى الاحتشاد في مواجهة الحضارة الإسلامية بوجه أخص، في الأغلب بسبب أنها أكثر استعصاء على الاحتواء من أي حضارة أخرى على وجه الأرض، من ثم فإن رسالته التي تعبر عن رأي مدرسة كاملة هي التأكيد على أن الصراع ليس محله المصالح فحسب ولكنه أصبح بعد انتهاء الحرب الباردة صراع ثقافات وأديان.

سادسا: نقاط تلاق بين الإسلام والغرب:

رغم ما ذكر من نقاط اختلاف، ونقاط نقد، وتحفظات من جانب المسلمين على موقف الغرب من الإسلام في الماضي والحاضر، إلا أنني أجد نقاط التقاء أساسية وعديدة، لا تساعد فقط على إنجاح الحوار بين الإسلام والغرب بل يمكن أن تكون إكمالاً وتحدياً بناء للحضارة الغربية الحديثة، أوجز هذه النقاط فيما يلي:

١. أولاً وقبل كل شيء لم يكن الإسلام يوماً ما عدواً للحضارة الغربية، القديمة أو الحديثة، فضلاً عن قناعة المسلمين بوجود وضرورة وجود علاقات ثنائية متبادلة فى شتى المجالات.
٢. كل من الإسلام والحضارة الغربية يشجع البحث العلمي، ويؤمن بضرورة تطوير حياة الإنسان إلى الأفضل.
٣. كل من الإسلام والغرب يحترم ويحمي الملكية الفردية.
٤. كل من الإسلام والغرب يؤيد ويحمي التعددية في الحكم، وحرية التعبير عن الرأي.
٥. استحدث الإسلام مؤسسة اجتماعية جديدة تعمل بالتعاون مع المؤسسات القانونية والأمنية المعروفة، على حفظ النظام فى الأماكن العامة والأسواق، تسمى " هيئة الحسبة" ومن أهم أهدافها درء الأسباب التي تؤدى- إذا أهملت- إلى وقوع المخالفات القانونية في الأماكن العامة.
٦. يحرص الإسلام- مثل الغرب - على ضرورة احترام وتطبيق حقوق الإنسان، ويؤكد الإسلام على ضرورة أن يشمل ذلك كل البشر بقدر متساو، وأن

يراعى ذلك في حالات الحرب أو السلم، كما يشهد بذلك كثير من الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول الكريم ووصايا الخلفاء الراشدين. يقول تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

٧. المحافظة على سلامة البيئة واجب شرعي على كل مسلم لأنه مستخلف من الله في الأرض لأعمارها، وسوف يحاسب الإنسان على كل ما جناه في حق البيئة التي خلقها الله وسخرها لخدمة الإنسان.

٨. يحرم الإسلام كل أنواع الظلم الاجتماعي قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾.

٩. يدعو الإسلام (مثل المسيحية) إلى التسامح ويرفض كل أساليب الإكراه في الدين أو التعصب العرقي أو غير ذلك. قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

١٠. يدعو الإسلام، كما تدعو المسيحية، إلى التواد، والتراحم، والتكافل بين كل أفراد المجتمع فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِير ﷺ ما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». أخرجه مسلم.

١١. يتضمن التصور الإسلامي كلاً من الجانب التشريعي للحياة، الذي اهتمت به أيضا اليهودية، والجانب الروحاني الذى ركزت عليه المسيحية، يتجلى ذلك في

إجازته للعقاب على الخطأ من جانب، وحثه على مقابلة الإساءة بالعفو عند المقدرة، بل ومقابلة السيئة بالحسنة.

١٢. إن الحرية الإنسانية الحقيقية لا تتحقق في أجل معانيها إلا إذا أفرد الإنسان ربه بالعبودية الخالصة، لأنه بذلك لا يكون عبدا لأي إنسان، أو لأي مخلوق آخر فى الطبيعة، يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى اله وصحبه

أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى محمود محمد الطناحي (بيروت،المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٢. أحمد عبد الرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،(القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٠).

٣. الأيديولوجية الانقلابية للدكتور نديم البيطار منشورات المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر بيروت

٤. بكر بن عبد الله أبو زيد، الإبطال لنظريه الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان(ط١، مصدر الكتاب: موقع الإسلام: http://www.al-islam.com، ١٤٢١هـ)

٥. تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر عبد اللطيف الحسين

٦. التعايش السلمي، هيوكتسكل، دراسات في التسامح ناجي البكري وآخرون

٧. التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام للسيد محمد الشاهد

٨. توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، عالم ما قبل القرآن،،(القاهرة: دار المنار، د.ت).

٩. الحوار مع أهل الكتاب- خالد القاسم، مصدر الكتاب: موقع الإسلام

١٠. خطاب الشيخ يوسف القرضاوي في ندوة الحوار بين الأديان - موقع إسلام أون لاين. نت - نافذة الإسلام وقضايا العصر.ومقابلة مجلة ليلة القدر مع

رئيس لجنة الحوار بين الأديان الشيخ فوزي الزفزاف. www. Lailatalqadr.Com زاوية حوارات.

١١. ذكاء مخلص الخالدي، العولمة: المفاهيم والمتطلبات، المجلة الاقتصادية السعودية، السنة ٢، العدد ٣، ١٩٩٩،.

١٢. سامر أبو ريان، الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية.

١٣. سمير أمين، العولمة والدولة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، السنة ٢١، العدد ٢٢٨، ١٩٩٨.

١٤. عبد الإله بلقزيز الهوية الثقافية، بحث مقدم في ندوة العرب والعولمة، الذي نشر في كتاب العرب والعولمة، تحرير إسامة الخولي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨.

١٥. عبد الخالق عبد الله، تعقيب على بحث السيد يس، في مفهوم العولمة، ندوة العرب والعولمة، الذي نشر في كتاب العرب والعولمة، تحرير إسامة الخولي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨.

١٦. عبد الرحيم بن صمايل السلمي، الحوار بين الاديان (حقيقته وضوابطه)

١٧. القاضي "أحمد القاضي": دعوة التقريب بين الأديان، (ط١، دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ).

١٨. لقاء الشيخ يوسف القرضاوي حول (الحوار بين الأديان) في: قناة الجزيرة – برنامج الشريعة والحياة – الثلاثاء ١٩/٨/١٤٢٢هـ، الموافق 6/11/2001.

١٩. محمَّد القاضي. "الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف". . التاريخ العربي ع ٢٦ (ربيع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٠. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت، دار صادر).

٢١. محمد سعيد القحطاني": الولاء والبراء في الإسلام، (ط١، دار طيبة، الرياض)

٢٢. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين(بيروت، دار الهداية)

٢٣. المسلمون والأوربيون (نحو أسلوب أفضل للتعايش) الخزندار.

٢٤. مفهوم التعايش في الإسلام عباس الجراري

٢٥. المقال منشور على موقع يتبناه وهذا رابطه فيه معرباً: http://www.danielpipes.org/article/١١٩٩

٢٦. منير الحمش، العولمة ليست الخيار الوحيد، الأهالي للنشر والطباعة والتوزيع، سوريا، ١٩٩٨.

٢٧. الموسوعة السياسية، اشراف عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، (ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٤)

٢٨. الموسوعة السياسية، اشراف عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، (ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٤).

٢٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إعداد واشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢.

المحتويات